سوريتنا

www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

السنة الثالثة | العدد (155) | 7 أيلول 2014

الصابئة المندائيون وخوف الإبادة الجماعية

المساجد في مناطق تنظيم "الدولة الإسلامية" استثمار إعلامي ومركز دعوي

الحسكة: ألاف الأسر في المدينة بلا مأوى ونزوح أكثر من 60 ألف مدني

اللوحات الأخيرة للفنان السوري علاء الحسون وجوه لديها الوقت

طقوس الإحتفال بعيد التعميد النهري
عدسة: سمير مرزبان

العنقودي من النظام إلى داعش

أسلحة روسية وألمانية اغتنمتها «داعش» من الفرقة 17

سوريتنا – زليخة سالم

في سابقةٍ جديدة نحو تطور السلاح في يد تنظيم داعش، نشرت هيومن رايتس ووتش تقريراً الأسبوع الماضي، يؤكد استخدام تنظيم داعش للذخائر العنقودية في 12 تموز و24 آب أثناء القتال حول بلدة عين عرب «كوباني» في محافظة حلب، والخاضعة لسيطرة قوات كردية من وحدات حماية الشعب الأبوجية «وذلك استناداً إلى تقارير من مسؤولين محليين أكراد وأدلة مستمدة من صورة فوتوغرافية».

ونقل التقرير على لسان أحد كبار المسؤولين الأكراد في كوباني أن «أربعة من مقاتلي وحدات حماية الشعب وطفلاً في الحادية عشر قتلوا في الهجمتين اللتين تسببتا أيضاً في جرح طفل آخر».

وبحسب اعتقاد المنظمة تعتبر هذه الحالة هي الأولى المسجلة لاستخدام تنظيم داعش بشكل معروف للذخائر العنقودية، منوهةً إلى أنها لا تعرف كيف استحوذت داعش على هذه الذخائر.

في هذا الصدد قال ستيف غوس مدير قسم الأسلحة ورئيس ائتلاف الذخائر العنقودية إن «أي استخدام للذخائر العنقودية جدير بالإدانة، لكن الرد الأمثل هو انضمام كافة الأمم إلى اتفاقية حظر تلك الأسلحة والعمل الجماعي لتخليص العالم منها»

ورغم الإدانات الدولية واسعة النطاق فقد سبق لقوات الحكومة السورية استخدام الذخائر العنقودية منذ حزيران 2012، وكان آخر أمثلة استخدامه للذخائر العنقودية الملقاة جواً هجوماً في 21 آب على بلدة منبج في محافظة حلب، الخاضعة لسيطرة داعش منذ بداية العام، ما أدى إلى مقتل ستة مدنيين على الأقل وجرح 40 آخرين، بحسب منظمة محلية.

حيث استخدمت قوات الحكومة السورية ما لا يقل عن 249 ذخيرة عنقودية منذ منتصف 2012 في عدة مواقع داخل 10 محافظات سورية، استناداً إلى أدلة مستمدة من مقاطع فيديو وأفلام، وشهادات شهود، وأبحاث أجرتها هيومن رايتس ووتش وغيرها، والأرجح أن يزيد العدد الفعلي عن هذا حيث أنه لم يتم تسجيل كافة وقائع الاستخدام.

1600 شخص بين العنقودي وقذائف لم تنفجر!!

بالرغم من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2013 والذي أدان استخدام الحكومة السورية للقنابل العنقودية، إلا أن أحدث التقارير الصادرة يوم الأربعاء الفائت من قبل جماعة دولية معنية بمكافحة استخدام الذخائر العنقودية، أكدت سقوط ما يقارب 1600 شخص في سوريا خلال العامين الماضيين ضحية القنابل العنقودية والذخائر التي لم تنفجر، مؤكدةً أن 97٪ من الضحايا هم من المدنيين وهي أعلى نسبة مسجلة على الإطلاق.

وفي هذا الصدد يقول ميجان بورك من مشروع شبكة سيرفايفو أنه «من المحزن أن تشهد سوريا العام الماضي سقوط ضحايا ومعاناة مدنيين من الذخائر العنقودية أكثر من اي وقت أو أي مكان آخر من بدأت الجماعة الرصد»

وأضاف بورك بأن: «أكثر من 1400 دولة نددت باستخدام سوريا للذخائر العنقودية في بيانات وقرارات، بينها 51 دولة لم تنضم للاتفاقية بعد». والجدير ذكره بأن من بين هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين.

ويأتي هذا التقرير قبيل عقد الاجتماع الخامس للدول الموقعة على الاتفاقية والذي سيبدأ أعماله في سان خوسيه في كوستاريكا في الثاني من شهر أيلول القادم.

79 منظمة حقوقية وإنسانية: أفرجوا عن مازن درويش ورفاقه!!

سوريتنا – لمى علوان

مع اقتراب الموعد المتوقع لإصدار الحكم القضائي في حق كل من مازن درويش وهاني الزيتاني وحسين غرير، طالبت 79 منظمة حقوقية وإنسانية ومدنية محلية وعربية وعالمية الحكومة السورية بالإفراج فوراً ودون قيد أو شرط عنهم.

حيث أشار بيان المنظمات المنشور على موقع هيومن رايتس ووتش الجمعة، أنه من المتوقع أن تصدر محكمة قضايا الإرهاب السورية حكمها في 24 أيلول الحالي في محاكمة مازن وزميليه بتهمة "الترويج للأعمال الإرهابية".

وفي هذا الصدد قال المتحدث باسم المنظمات: "لا تعدو مُحاكمة مازن درويش وزملائه مجرد كونها مُحاكمة صورية، وإجهاضاً صارخاً للعدالة. ويجب إطلاق سراح هؤلاء المدافعين عن حقوق الإنسان فوراً"، حيث علمت المنظمات من مصدر مراقب عن كثب، احتمال إصدار الحكم في القضية عند الاستئناف، بعد التأجيل عدة مرات لإخفاق قوات الأمن في توفير المعلومات التي طلبتها المحكمة.

وبحسب شهادات بعض المعتقلين السابقين الذين احتجزوا إلى جوار مازن درويش وزملاءه فقد تعرض هؤلاء للتعذيب على يد قوات الأمن وغيره من ضروب سوء المعاملة، وهو أمر لم يتم إجراء تحقيق حوله حتى الآن، بالرغم من أن هذه التقارير موثوق بصحتها.

وضمن هذا السياق، قال أحد المحامين المدافعين عن المحتجزين السياسيين والذي يقوم برصد عملية تنفيذ العفو بوجود عدد من الحالات المستفيدة من العفو قانونياً إلا أن القضاة قاموا بإعادة ملفاتهم إلى النائب العام مرة أخرى، مرفقة بطلب من أجل إستبدال الاتهامات الموجهة إليهم بأخرى لا يشملها العفو.

ما دفع المنظمات إلى تأكيدها ضرورة التزام قاضي محكمة قضايا الإرهاب المشرف على محاكمة الرجال الثلاثة بالعفو، والامتناع عن إرسال قضيتهم إلى النائب العام لتوجيه اتهامات جديدة، بل وإطلاق سراحهم على الفور، وهو ما أكدته عليه أيضاً مجموعة العمل الأممية المعنية بالاحتجاز التعسفي.

الحسكة: آلاف الأسر في المدينة بلا مأوى ونزوح أكثر من 60 ألف مدني

الحسكة - عدنان أبو كنان

أدت العمليات العسكرية التي تقوم بها قوات النظام، وبعض المليشيات المسلحة المتحالفة معه لاقتحام حي غويران، إلى نزوح أكثر من 60 ألف مدني من الحي، في أكبر عملية نزوح جماعي تشهدها مدينة الحسكة منذ اندلاع الثورة السورية ومنذ تحرير حي غويران قبل عامين.

«أبو علي» الذي يسكن في منزل مؤلف من غرفتين، يفترش منزله والباحة الصغيرة التي يطل عليها المنزل اكثر من 40 فردا من اسر اشقائه، الذين فروا من القصف الذي يتعرض له حيهم، لم تكن المرة الاولى التي يلجأ اشقاء» ابو علي « اليه، بل هي المرة الثالثة، فمنذ ما يقرب الشهر، وهذه حال الاف الاسر ما ان تعود إلى منازلها حتى تأوي إلى ركن بعيد تأمن على ارواحها.

وتوجه غالبية النازحين من حي غويران إلى احياء مدينة الحسكة كأحياء:(النشوة، الليلية، وحي الزهور) أو إلى ريف تل تمر الجنوبي كما توجه البعض منهم إلى مدينتي الشدادة والقامشلي لوجود أقارب لهم . بينما كانت الحدائق والارصفة والطرقات ملاذ المئات من الفارين من القصف الجوي والمدفعي العنيف للحي.

يقول أبو أسامة: «بالكاد تمكنا من الخروج من المنزل، بعد ان سقطت قذيفة مدفعية على منزل جارنا، وعشرات القذائف الاخرى في محيط منزلنا، حتى ما يمكن ان يستر اجسادنا، لم نتمكن من جلبه معنا».

يصف أبو أسامة ليلة النزوح بالعصيبة «خاصة صراخ الاطفال وصيحات النساء، والخوف من المجهول الذي ينتظرنا، ..مشاعر مختلفة احسسنا بها، لم تكن ليلة عصيبة فقط كانت جحيماً».

يعاني حي «غويران» الحاضن الأول للثورة في مدينة الحسكة، حصارا خانقا، منذ أكثر من سنتين، حيث تحاصره حواجز النظام من كل الجهات. ويتحصن فيه منذ تحريره بضع مئات من المقاتلين جميعهم من أبناء الحي.

وفي الاسابيع الاخيرة شنت قوات النظام، مدعومة بعناصر جيش الدفاع الوطني، وقوات الـypg، التابعة للـ pyd، الحليف الابرز للنظام في المنطقة الشرقية وتحديدا محافظة الحسكة، شنت هجوما عنيفا على الحي الذي يقطنه قرابة 70 الف نسمة من العرب، واستهدفت الحي بقصف مدفعي من اللواء 121 في جبل كوكب شرق الحسكة ، كما نفذ طيران النظام الحربي عدة غارات جوية استهدفت معظمها منازل المدنيين، بالإضافة إلى تعرض الاهالي المدنيين لعشرات حالات القنص راح ضحية نحو 50 شهيد مدني منذ بداية العمليات العسكرية.

«أبو خالد» وزوجته وأحد أولاده، صورة أخرى للألم، حيث لم يسعفهم الوقت لأخذ ما جاؤوا لأجله، دخلوا الحي بعد يومين من القصف لأخذ بعض الاحتياجات من المنزل، سقطت عليهم قذيفة مدفعية، لقوا مصرعهم على اثرها، دون ان يفلحوا في الهرب من الموت المتربص بهم في كل زاوية من زوايا الحي.

لاجئون في إحدى مدارس الحسكة | شباط 2014

ظروف إنسانية صعبة يعانيها الاف من نزحوا عن منازلهم، تبدأ بصعوبة العثور على مكان للإقامة، في وقت اصدرت وحدات حماية الشعب الكردية التابعة لحزب الـ pyd، تعميما على اصحاب المنازل والمكاتب العقارية، بعدم السماح لهذه الجهات تأجير او ايواء اي عائلة من اهالي الحي، تحت طائلة المساءلة والمحاسبة.

جدير بالذكر ان حي «غويران» مدخل الحسكة الجنوبي، يبلغ عدد ساكنيه نحو 70 الف نسمة، شهد هذا الحي هذا العام عدة محاولات اقتحام من قوات النظام، وتعرض في عدة مناسبات للقصف المدفعي من قبل النظام، اودى بحياة العشرات بينهم اطفال ونساء وجلهم من المدنيين، في محاولة من قوات النظام لبسط سيطرته على اخر معاقل الثورة في مدينة الحسكة بعد ان قطع الاتصالات والمياه والكهرباء والطعام عن الحي.

4 مليون سوري يحصلون على حصص غذائية خلال آب

سوريتنا | رقية سمسم

تلقى 4.1 مليون شخص في سوريا حصصاً غذائية في شهر آب المنصرم، وهو رقم قياسي منذ بدء الأحداث، وهذا بحسب مهند هادي المدير القطري لبرنامج الأغذية العالمي.

وأضاف هادي في بيان للبرنامج نُشِرَ الثلاثاء: إن برنامج الأغذية يصل إلى عدد أكبر من الناس كل يوم لنقل مساعدات أغذية يحتاجونها بشدة، وكثير منهم كانوا جياعاً طوال شهور، وذلك بعد عبور عدد أكبر من القوافل لخطوط القتال والحدود السورية مع تركيا والأردن.

وجاء في البيان أن البرنامج ووكالات شريكة تمكنوا خلال الأسابيع الستة الماضية من عبور خطوط القتال للوصول إلى أكثر من 580 ألفا وهو ما يزيد أربع مرات عن العدد الذي أمكن الوصول إليه سابقا.

وأوضح البرنامج في بيانه أن خمس قوافل عبرت الحدود من معبر باب السلام في تركيا ومعبر الرمثاء من الأردن منذ 25 تموز، حملت حصص غذاء تشمل الأرز والعدس والزيت والمعكرونة والبرغل وأغذية معلبة وطحين القمح والفول والملح والسكر لما يصل إلى 69500 شخص في مناطق يصعب الوصول لها في محافظات حلب وإدلب والقنيطرة ودرعا.

وأضاف: « لقد ساعد تسهيل دخول المساعدات الإنسانية في رفع عدد من يحصلون على حصص طعام مقارنة بعددهم في تموز العام الماضي الذي كان 3.7 مليون شخص، لكن البرنامج لم يحقق قط الرقم الشهري المستهدف لعدد السوريين الذين يقوم بإطعامهم وهو 4.25 مليون شخص في آب، أي نحو خمس سكان سورية قبل الحرب، مؤكداً أنه بحاجة إلى 35 مليون دولار أسبوعيا لتغطية الاحتياجات الغذائية للسوريين المتضررين من الحرب ومنهم ثلاثة ملايين لاجيء في الدول المجاورة.

وكان مجلس الأمن سمح في تموز الماضي بإدخال المساعدات الدولية من أربعة معابر حدودية دون موافقة الحكومة.

«تداعيات الحرب» .. الحكاية كما يراها الأطباء

سوريتنا – سمر فرحان

هو «يـوم» فـي حياة الحـرب الدائـرة في سوريا منذ ثلاث سنوات، «يوم» لكن هذه المرة بعيـون العاملين في المجـال الطبي والمرضى واللاجئين، في فيلـم أطلقته منظمة أطباء بلا حدود تحت عنوان «تداعيات الحرب».

ويكشـف هـذا الفيلـم قسـوة الأحـداث الدامية الجارية في سـوريا، والكـم الهائل من الاحتياجـات الطبيـة الواجب تلبيتهـا كل لحظة وفي مواقع مختلفة.

وعـن الفيلـم تقـول الدكتـورة جـوان ليو الرئيسـة الدوليـة للمنظمـة: «الحـرب طاحنة لدرجـة أنـه مـن السـهل نسـيان وقعها على السـوريين كأفـراد، وخـلال عملي هنـاك في نهايـة العـام المنصرم، رأيـت أطفـالاً أصيبوا بجروح من جـراء التفجيرات، وآخرون عانوا من أمـراض يمكن الوقاية منهـا، وعائلات من دون مأوى لائق، ونساء لم يستطعن إنجاب أطفالهن في بيئة آمنة، بشـكل عام، نشعر كلنا بنقص فـي الإنسـانية عندمـا نتحدث عن سـورية، إذ نتناول عادة الأرقام»

وفـي تقريرها المنشـور حول المشـروع، تشـير المنظمـة إلـى أن الفيلـم يبـرز الوقـع الشـخصي للحـرب القاسـية والعنيفـة، حيـث تقوم مجموعـة من الأفلام القصيرة والمقالات المصـورة مـع تقريـر سـردي بنقـل الأبعـاد الشـخصية للأحداث كمـا يعيشـها المرضى م اللاجئين السـوريين، وأفـراد الفريـق المعالج لهم التابـع للمنظمة، ويؤكد التقرير اسـتحالة توثيـق هذه الصور داخل سـوريا جـراء انعدام الأمن فيها.

ولإنتاج هـذا العمل تعاونـت منظمة أطباء بلا حدود مع مصورين فوتوغرافيين ومصوري فيديـو حائزين على جوائـز عالمية، من بينهم كايـت بروكـز ويـوري كوزيريف وموسـيس سـامان ودانيل إتير وتون كوين. ليقوموا نهاية العـام الفائـت بزيـارة عيـادات ومستشـفيات المنظمة في أماكن إقامـة اللاجئين في دوميز العراقيـة، وسـهل البقـاع اللبنانـي، والرمثـة وعمـان فـي الأردن، بهـدف توثيـق ظـروف العيـش، ليتم إنجـاز العمل في يـوم واحد من التصويـر، حيـث يقوم كل موقـع بمنح لمحاتٍ حـول التحديـات والعوائق والهواجـس اليومية التي تواجه اللاجئين السـوريين، لتسـمح هذه الحكايات بالاطلاع على الواقع داخل سوريا.

مشهد من الفيلم

وفي هذا الصدد يشـير مويسيس سامان، مصور وكالة ماغنوم، الذي عمل على المشروع فـي لبنان إلى أن «ما تم التقاطه في يوم واحد ليـس إلا عينة بسـيطة عـن الثمن الإنسـاني المتنامـي للحـرب السـورية، وفي يـوم واحد، يمكنك لمس العذاب الهائل الذي تسببه الحرب، من دون أن يغيب عن بالك أنه ليس سـوى يوم واحد في حرب تدور منذ أكثر من ثلاث سـنوات، دون أية خاتمة لها في المدى المنظور».

ومـن الجديـر بالذكر أن منظمـة أطباء بلا حـدود بـدأت بمزاولة العمـل في سـوريا بعيد اندلاع الحرب، لتدعم بدايةً المرافق الطبية من خلال التبرع بالمواد والأدوية، لتطلق من بعدها مرافقهـا الخاصـة حيثما أمكن، كما سـعت إلى الحصول على موافقة من الحكومة في دمشق لتسـهيل العمـل فـي دمشـق، دون أن تغلـح بذلـك، فأنشـأت فرقهـا الصحية مشـاريع في المناطـق الخاضعة للمعارضة، وبشـكل خاص في المناطق الحدودية الشـمالية للبلاد، إضافةً إلى إطـلاق المنظمـة لبرامج طبية وإنسـانية واسعة النطاق للاجئين السـوريين في البلدان المجاورة.

وبالرغـم من أن «تداعيات الحرب» كان من المفترض أن ينطلـق في كانون الثاني 2014، إلا أن تأجيـل الأمـر أتـى بعـد احتجـاز أعضاء مـن فريـق المنظمـة الطبـي من قبـل إحدى المجموعات المسـلحة في الشمال يوم 2 كانون الثانـي، ليتم إطلاق سـراح ثلاث من أفراده في الرابع من نيسان، وإطلاق سراح من تبقى يوم 14 أيار الفائت.

وعـن هـذا الأمـر أكـدت الدكتـورة ليـو: «يكمن التحدي الأساسـي في سوريا في توفير المسـاعدات الآمنة من دون تعريـض فرقنا أو مرضانـا إلـى مخاطـر داهمـة، والحقيقة هي أننـا لا نسـتطيع الوصول إلى أغلـب المدنيين، فنسعى إلى تقديم الرعاية إلى المرضى الذين هـم في أمـس الحاجـة إليها والذين نسـتطيع الوصول إليهم».

الهاربون بحراً بين الغرق والاحتجاز والعنف

سوريتنا | حسن صالح

يدخـل السـوري عبـاب البحر، نافضـاً عنه الذل والتشـرد الذي عاشـه في دول الجوار، في رحلـةٍ يكتنفهـا الغمـوض. يدفـع بحياته نحو الخطر في قارب تهريب مهترئ علّه يجد قيمته الإنسـانية في الضفة الثانية من العالم، بثمن باهظٍ جـداً قد يكون هو الحيـاة عينها، لتصلّ تقديـرات أعداد ضحايا التهريب بحسـب بعض المصادر إلى 500 شـخص لقـوا حتفهم قبالة السواحل الأوروبية مطلع عام 2014، وهو عدد قابل للارتفاع.

في هـذا الصعيـد قالـت ميليسـا فليمنغ، كبيـرة المتحدثين باسـم المفوضية السـامية لشـؤون اللاجئين: "سُـجلت في الأيـام القليلة الماضيـة أكبر حصيلـة من الوفيـات في البحر المتوسـط لهذا العام بين العابريـن إلى أوروبا بنحو غير نظامي، بعد انقلاب ثلاثة زوارق على الأقل أو غرقها".

وأشـارت فليمنـغ إلـى أن الكثيـر ممـن يخاطـرون بحياتهـم فـي البحر للوصـول إلى أوروبـا هم مـن الهاربيـن من الحـرب والعنف والاضطهـاد، مطالبـةً "بتحـرك أوروبي عاجل ومنسـق" حيال هذا "الوضع المأساوي"، تتخلله عمليـات بحـث وإنقـاذ معـززة في المتوسـط، وذلك مع تزايد أعدد المهاجرين غير الشرعيين، ومعظمهـم مـن الأريتيريين والسـوريين والصوماليين، لافتةً النظر إلى ضرورة "اعتماد إجراءات تسـمح بالتعرف على الجثث المنتشـلة من البحـر لتوفيـر معلومات سـريعة وواضحة

خفر السواحل الإيطالي يعترض مركباً لتهريب اللاجئين

تجنب العائلات معاناة إضافية"، بالإضافة إلى توفير الدعم النفسي للناجين من هذه المآسي فور إنزالهم، بالأخص ممن فقدوا عائلاتهم وأصدقائهم.

وفي جانب متصل، نشرت مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سوريا إفادة أحد اللاجئين الفلسطينيين الذي كان على متى إحدى القوارب المطاطية، بأن خفر السواحل اليونانية قامت باعتراضهم بالقرب من جزيرة ساموس اليونانية، حيث أجبر المهاجرين الفلسطينيين والسوريين الذين كانوا على متن القارب بالصعود إلى قارب للخفر حيث انهالوا عليهم بالضرب والشتائم، سالبين منهم ما يمتلكونه من مال وأجهزة اتصال، طالبين منهم العودة إلى تركيا على متن القارب عينه.

كما ذكرت المجموعة بأن السلطات اليونانية باتت تتعامل بطريقة غير إنسانية مع اللاجئين الذين يقصدون أراضيها بغية الهجرة إلى الدول الأوربية، ففي يوم 11 / 12 / 2013 تسبب عناصر حرس السواحل اليونانية بوفاة كل من الطفل عبد الرحمن السعدي ووالدته مها السعدي وذلك إثر غرق المركب الذي كان يقلهم، ووفق شهادة أحد الناجين من حادثة الغرق أن عناصر حرس السواحل اليونانية قامت بسحبهم وإعادتهم إلى المياه التركية مما تسبب بغرق الأم وطفلها.

في حين اعتقلت تلك السلطات"108" لاجئاً فلسطينياً بينهم "25" طفلاً و"36" امرأة وعدد من الجرحى يوم 20 / 8 / 2014 أثناء محاولتهم السفر إلى إحدى الدول الأوروبية عبر مطارها بتهمة الهجرة غير الشرعية، وقامت باحتجازهم في جزيرة "سيمي" اليونانية، لتطلق سراحهم بعد تدخل عدد من منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات الدولية.

فيما سُجلت حالات مشابهة قبل عدة أسابيع حيث ذكر أحد المهاجرين أن السلطات اليونانية سحبت مركبهم في البحر وتركتهم في المياه الاقليمية التركية ليتم إنقاذهم من قبل خفر السواحل التركية.

في هذا الصعيد أعلن اثنا عشر لاجئاً بينهم سوري وخمسة فلسطينيين سوريين وعراقي إضراباً عن الطعام في مالطا، احتجاجاً على المعاملة غير الإنسانية التي تعرضوا لها من قبل السلطات، وتنديداً بوضعهم داخل المخيمات المغلقة، مطالبين بنقلهم إلى المخيمات المفتوحة وإيقاف كافة أشكال التهديد والعنف ضدهم، وكان عدد من المحتجزين قد أطلقوا قبل عدة أيام نداء استغاثة بعد أن قامت السلطات المالطية بالاعتداء عليهم بالضرب المبرح وذلك بغية انتزاع بصمة اللاجئين قسراً.

من جانب آخر أوردت لمجموعة العمل من أجل فلسطينيي سورية مناشدات من 80 لاجئاً فلسطينياً سورياً وسوريين معتقلين في الاسكندرية بحجة محاولة الهجرة غير الشرعية، حيث اعتقلهم الأمن المصري أثناء محاولتهم التوجه إلى إيطاليا، وتم اقتيادهم إلى أحد أقسام الشرطة في مدينة الإسكندرية، واحتجازهم فيه بظروف غير إنسانية، مطالبين بالإفراج عنهم لأنهم جاؤوا إلى مصر طلباً للأمن والأمان لا للاعتقال والإذلال.

ويذكر أن السلطات المصرية كانت قد اعتقلت في الفترات السابقة العشرات من اللاجئين الفلسطينيين والسوريين بحجة محاولتهم الهجرة غير الشرعية بالمراكب التي تنطلق من الشواطئ المصرية إلى أوروبا.

من فتح مدرسةً أغلق سجناً
مدرسة الحياة في القابون

دمشق – فؤاد الأحمر

بدأ العمل في مدرسة الحياة في شهر تشرين الثاني من العام 2013، في ظل حصار مطبق على كل من حيي القابون وبرزة، لم يتجاوز عدد الطلاب في ذلك الوقت المئة طالب.

اليوم كادر مدرسة الحياة يقوم بتعليم أكثر من 900 طالب من صف الروضة الفئة الثالثة وحتى الصف الثالث الثانوي.

كما ويقوم بدورات العطلة الصيفية أكثر من 40 مدرسة ومدرس مختصين بتعليم أكثر من 900 طالب من عمر 5 سنوات حتى عمر 18 سنة المواد الأساسية في المنهاج السوري كالرياضيات والفيزياء والكيمياء واللغة العربية وكذلك اللغتين الانكليزية والفرنسية، بالإضافة إلى دروس مادة التربية الإسلامية، ويقوم بنشاطات دائمة خاصة بالأطفال كالرسم والرياضة وغيرها.

وعلى الرغم من صعوبة العمل المتمثلة في الوقت المحدود واختلاف مستويات الطلاب والأعداد الكبيرة، إلا أن أكثر من 700 طالب في مدرسة الحياة تمكنوا وخلال ثلاثة أشهر (من شباط وحتى شهر نيسان 2014) من دراسة المنهاج السنوي الكامل والتقدم للامتحانات النهائية للعام الدراسي 2013 / 2014 وتجاوزها بنجاح.

بالإضافة لـ 500 طالب من الصف الأول وحتى الصف التاسع تقدموا للامتحانات النهائية في مدارس دمشق، منهم 250 طالب من الصف الأول وحتى الصف الثامن تقدموا للامتحانات النهائية ضمن مدرسة الحياة وكانت نسب النجاح مرتفعة.

مجلس الوزراء يعتمد 150 ليرة سعر صرف الدولار في موازنة 2015 ويجتر "محاربة الفساد" و"تحسين الوضع المعيشي"

■ دمشق - أنليل فارس

أقر ما يسمى "مجلس الوزراء" التابع لنظام الأسد، مشروع قرار يتحدد به سعر الدولار الأميركي الواحد بـ150 ليرة سورية في الموازنة العامة للدولة للعام المالي 2015، وجاء قرار المجلس في وقت وصل فيه سعر صرف الدولار في السوق السوداء إلى 180 ليرة، ما دفع وزارة الداخلية إلى شن حملة على الصرافين غير النظاميين، إضافة إلى عقد جلستين تدخليتين حملت كل منهما شريحة 20 مليون دولار، إلا أن شركات الصرافة لم تتقدم بأي طلب شراء، وذلك بالتزامن مع تذمر المستوردين من تعقيدات تمويل مستورداتهم، في حين رفع المركزي النسبة من الحوالات المسموح لشركات الصرافة الاحتفاظ بها من 20٪ إلى 30٪، بغية تمويل الاحتياجات التجارية.

وكرر رئيس "مجلس الوزراء" وائل الحلقي، في جلسة "حكومته" الأخيرة، مطالبته بمحاربة الفساد، قائلاً: "يجب بذل الجهود للقضاء على الفساد، وتحفيز العاملين على العمل والإنتاج، وحسن اختيار القيادات الإدارية بعيداً عن الواسطات والمحسوبيات والشخصنة".

وشدد الحلقي، على ضبط إنفاق سيارات الخدمة الحكومية من الوقود ومخصصات الإصلاح ووضع سقف لها، طالبا من الحكومة الجديدة تفعيل أداء الوزارات والمؤسسات التابعة لها، والعمل بروح الفريق الواحد وتنشيط العمل المؤسساتي، بحيث تؤدي إلى تحسين المستوى المعيشي والخدمي للمواطنين. وأشار إلى أهمية تعزيز التشاركية مع المواطنين في المرحلة القادمة، والاستماع إلى قضاياهم وأفكارهم، بما يساعد على تذليل العقبات ومعالجة الكثير من القضايا الملحة.

وأكد على أهمية تعزيز دعائم الاقتصاد الوطني والتنمية المجتمعية والإصلاح الضريبي وتطوير القطاع العام الصناعي، وتعديل التشريعات والقوانين التي تحول الشركات العامة من خاسرة إلى رابحة، إلى جانب الإصلاح الإداري ولا سيما بعد إحداث "وزارة التنمية الإدارية".

وطلب الحلقي من "وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك"، وضع إجراءات جديدة لضبط حركة السوق والحد من ارتفاع الأسعار ومكافحة الاحتكار وملاحقة تجار الأزمات، وضمان انسياب السلع إلى السوق. وبيّن اهتمام الحكومة بالقطاع الزراعي وتحقيق تكاملية مع القطاعات الأخرى، بما يلبي "حاجة السوق المحلية والتصدير"، حسب تعبيره.

من جانبه، قال هاني وهو ناشط سياسي، إن هذه "ليست المرة الأولى التي يسمع المواطن السوري فيها بهذه الشعارات الطنانة، وقد لا نستطيع إحصاء عدد مرات خروج رؤساء مجلس الوزراء على الناس بهذا الكلام، الذي لا يعدو أن يكون أمنيات يعجزون عن تنفيذ أي منها، ليس لاستحالتها، بل لعدم وجود قرار سياسي بإنهاء هذه العيوب، حيث يقوم النظام عليها، وأي مساس بها هو مساس بهيكليته، التي يعتبر الفساد عامودها الفقري".

أزمات مستمرة.. والنظام يقف عاجزاً

ما زالت الأزمات الخدمية تتفاقم في العاصمة دمشق، فمياه الشرب تغيب عن معظم أحيائها لأيام طويلة، ويُترك المواطنون لتجار الأزمة، حيث وصل سعر برميل المياه إلى ألف ليرة، في حين تعرضت عدة مناطق لحالات تسمم بسبب المياه الملوثة.

وتعددت الأسباب التي قدمتها مؤسسة المياه لهذا النقص، بادئة بالجفاف ونقص الكهرباء والوقود لمحطات ضخ المياه، إضافة إلى استخدام المواطنين مضخة مياه "الحرامي"، محذرين من سلبياتها على الشبكة، إضافة إلى سحب الترسبات والمياه الملوثة.

كما مازال وضع الكهرباء في تدهور يومي، حيث تزداد ساعات التقنين بشكل مستمر، في ظل عدم انتظام ساعات التقنين في كثير من الأحياء، بينما تظهر كل الحلول الفردية عاجزة عن إنهاء مشكلة المواطن مع الكهرباء، من تعطل أعمالهم إلى فساد أطعمتهم.

وفي سياق ذي صلة، فشلت المحافظة ومؤسسة المحروقات في توفير مادة المازوت، الذي وصل سعر اللتر منه إلى 150 ليرة، في حين تكتظ محطات الوقود بالسيارات، التي تنتظر لساعات حتى تحصل على 30 لترا، علما بأن الجهتين الحكوميتين المذكورتين أصدرتا عدة قرارات، قالتا إنها تصب في معالجة هذه الأزمة، منها منع بيع المازوت بالعبوات البلاستيكية "البدونات"، إضافة إلى نشر أكثر من 30 صهريجاً في أنحاء دمشق لتزويد وسائل النقل بالمازوت، كذلك قيل إن هناك صهاريج ستوزع على الأحياء بمعدل 20 لترا للمواطن يومياً إذا أراد، وإلى الآن لم يلحظ المواطنون أي تحسن على توفر المادة أو انخفاض سعرها.

مركز لتصنيع الأطراف الصناعية في حلب

في مقابل كل هذا، أعلن محافظ حلب، أنه يجري العمل مع "اللجنة الدولية للصليب الأحمر" بالمحافظة، لإنشاء مركز لتصنيع الأطراف الصناعية في حلب.

وأوضح المحافظ، في تصريح صحفي أن إقامة المركز يساعد الذين فقدوا أحد أطرافهم بسبب الظروف الراهنة على مواصلة حياتهم، لافتاً إلى أن المحافظة مستعدة لتقديم كل ما يلزم من دعم، لتجهيز وافتتاح المركز بأسرع وقت ممكن.

ومن جانبه، قال مساعد مدير مكتب "اللجنة الدولية للصليب الأحمر" في حلب غاندي الزين، إن العاملين في المركز سيكونون من الكوادر السورية بعد تأهيلهم وتدريبهم.

واعتبر ناشطون أن خبر افتتاح المركز هو خبر محزن، لأنه جاء تلبية للاحتياجات الكبيرة، لأطراف صناعية علها تساعد الضحايا الذين باتوا كثيرين، على إكمال حياتهم.

وأوضحوا أنه "لا يوجد إلى اليوم أرقام دقيقة عن عدد الإعاقات التي تسببت بها المواجهات العسكرية، إلا أنها تقدر بمئات آلاف الإصابات".

ولفتوا إلى أن "هناك مشكلة ستواجه الدولة السورية بعد انتهاء الأزمة، هي وجود مجموعة كبيرة من السوريين المعاقين جسدياً، يحملون في داخلهم الكثير من المشكلات النفسية الاجتماعية، التي بدأت تهدد النسيج الاجتماعي السوري، ما يستدعي تنبه الشعب السوري وإسراع الخطوات على طريق حل الصراع الدموي الدائر على الأرض، يرافقه مشروع وطني يردم هذه الشقوق بين مكونات الشعب السوري، علّه يزيل الندوب الناتجة عن الصراع الدموي".

حكومة النظام في دمشق | سانا

المساجد في مناطق تنظيم "الدولة الإسلامية" استثمار إعلامي ومركز دعوي

■ الرقة - ناصر المحمود

خرجت المظاهرات في سوريا عام 2011 تهتف بإسقاط النظام من المساجد، فقد كان المسجد المكان الوحيد الذي يسمح للسوريين الاجتماع فيه، في ظل حكم قمعي استبدادي يمنع ويعاقب اجتماع أكثر من اثنين بشكل دوري منتظم، وأدرك تنظيم الدولة الإسلامية أهمية المساجد في حياة السوريين، ووعى أهميتها منذ اللحظة الأولى لوجوده في سوريا، ولا سيما أنه يعتمد على الإيديولوجيا الدينية في قيام كيانه المفترَض، فاستخدم تنظيم الدولة المسجد وسيلة لنشر فكره وحشد مؤيديه، وبناء قاعدة شعبية وحاضنة اجتماعية، وقبل أن يفرض التنظيم سيطرته كان أمراؤه وخطباؤه يطلبون بكل أدب واحترام، إذناً من إمام المسجد الأساسي بالخطابة، وكانوا يركزون في خطبتهم على العداء للنظام السوري والغرب الكافر، ويشددون على قضية الولاء والبراء، ولا يتطرقون للمسائل الخلافية، وللعلاقة مع الفصائل الثورية إلا فيما ندر.

أما وقد أحكم التنظيم سيطرته فقد أصبح المسجد انعكاساً لخطاب التنظيم السياسي الديني، فجُل الخطب تدور حول وجوب الجهاد وفق رؤية التنظيم، وقتال الكفار ومن يحكم التنظيم بردتهم، فالجيش الحر غدا كافراً على منابرهم، وأحرار الشام سموهم أشرار الشام، حتى جبهة النصرة لم تسلم فاتهمت بالردة وموالاة الكفار، وإذا علمنا أنه لا تخلو قرية من مسجد أدركنا حجم تأثير المساجد في الناس، فعبر المسجد تمكن التنظيم من الوصول لكل السوريين صغيرهم وكبيرهم، وليحمي تنظيم الدولة نفسه من أي فكر آخر يعترض طريقه قام بعزل أكثر من 70٪ من الخطباء الذين لم يتبنوا خطاب التنظيم، وما بقي من خطباء وأئمة إما تبنوا خطاب التنظيم، أو قاموا بمداهنة تنظيم الدولة، وساروا مع خط السلفية الجهادية التي يؤمن بها التنظيم، وإن كانوا حاولوا بعض الشيء، النأي بالنفس عن غلو التنظيم وتطرفه.

ولم يقتصر استثمار التنظيم للمساجد على الخطب، بل صبغ المساجد بصبغته، ولعبت أمور كثيرة في ترسيخ هذا «الاستثمار»، فالتنظيم يمنع فتح المحال التجارية والصناعية أثناء الصلاة، ويلزم الذين يُضبطون بمخالفات بحضور دورات شرعية، ولا ننسى الدروس الدينية التي توجه بما يخدم فكر التنظيم، ويلاحظ في خطاب التنظيم النبرة الخطابية الحادة والدعاء على أمريكا وعملائها (الأنظمة العربية)، فالتنظيم يرى الأنظمة العربية أنظمة كافرة مرتدة، ويركز كثيراً على الخطاب العاطفي، ويكثر من ذكر الأمثلة حول الظلم الذي يتعرض له المسلمون في سوريا والعراق، وهنا يعزف تنظيم الدولة على وتر الأوجاع والآلام وهي كثيرة، وسهلت الممارسات الطائفية للنظامين العراقي والسوري عملية الحشد الديني والطائفي، وصارت الأرض خصبة لهذا الخطاب.

عوض المسجد عن افتقاد تنظيم الدولة الإسلامية للمنبر الإعلامي الرسمي، فمن خلال المسجد يتم تكذيب الإشاعات، وعبره يتم نشر البيانات والبلاغات ومتعلقاتها.

وقد عمل تنظيم الدولة الإسلامية على إقامة الدورات الشرعية للذكور والإناث في المساجد، هذا عدا الدورات المقامة للأطفال والناشئة، باختصار حوّل تنظيم الدولة المساجد لخلية نحل عملت على نشر فكره ودعم ممارساته واستقطاب المؤيدين.

(م. ك)، وهو من قياديي التنظيم في مدينة الرقة رأى أن «الدولة الإسلامية أعادت المساجد لوظيفتها الحقيقية، فالمسجد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مكانا لاتخاذ القرارات، ففيه تقام الصلوات، وتبرم الاتفاقات، وتلقى الخطب والدروس، وترسم فيه الخطط السياسية والعسكرية والحياتية، ولم يكن المسجد مقتصراً على الأمور التعبدية، سنقوم قريبا بتفعيل دور المرأة في المسجد، فقد كانت النساء تحضر الصلوات».

(ك. ن) وهو قيادي آخر اعتبر كذلك، أنهم أعادوا «للمسجد دوره المشرق بعد أن حولته أنظمة الكفر لمجرد مكان يجتمع الناس فيه لممارسة طقوس العبادة، فكنا ننصرف كما نجتمع دون فائدة حقيقية تذكر، وتم عزل الأئمة المنافقين الذين داهنوا السلاطين وما زالوا يداهنونهم، فلا مكان لهؤلاء بعد الآن في مساجد المسلمين».

بالمقابل، (س. م)، المواطن الرقاوي المقيم منذ فترة طويلة في المدينة، يقول إن «المسجد مكان لعبادة الله وحده دون سواه، وينبغي ألا يصبح وسيلة وألعوبة بيد فئة معينة لنشر فكرهم وآرائهم، فالمسجد لنشر الإسلام وترسيخه في النفوس، والتقرب من الله، ولم يكن يوماً وسيلة تحريض على قتل المسلمين واستباحة دمائهم».

وذهب (هـ. و) في رأيه بهذا الاتجاه، أيضا، قائلاً: «بصراحة من يوم سيطرة التنظيم اعتكفت في بيتي ولم أعد أصلي في المسجد، فلم نسمع من الخطيب سوى كلمات مرتد، كافر، عميل، خائن، ناهيك عن المظاهر المسلحة التي تخيف الصغار قبل الكبار، نحن في منطقة يسيطر عليها التنظيم، فلماذا حمل السلاح؟! لماذا لا يتركون سلاحهم في المقرات؟!

(ج. م)، طالب في ثانويات المدينة، أكد لنا أنه يرى إيجابيات وسلبيات للتنظيم في مسألة إدارة المساجد، فمن الإيجابيات تحرير المساجد من الخطاب الخشبي زمن النظام، وتفعيل الدروس الدينية، أما السلبيات فتتمثل بتبني خطاب يخدم فكراً وتوجهاً واحداً، ومنع الأئمة السابقين، أو معظمهم، من ممارسة الخطابة، لمجرد أنهم يحملون فكراً إسلامياً مختلفاً»، ويتابع: «كأنك يا زيد ما غزيت!».

عبد الكريم أضاف أن التنظيم «قام بهدم الكثير من المساجد بحجة بنائها على قبر، ومنع الشرك كما يدعي التنظيم حيث هدم كثيرا من الأضرحة في منبج والباب والرقة، وهدم الحسينيات في الرقة وريفها، ولم يمس قبر السلطان سليمان شاه عند جسر قره قوزاق، وقوات التنظيم تحمي الجنود الأتراك المتعاملين مع حلف (الناتو) في عمليات تبديل الحرس الدوري للقبر، فيما تقتل عناصر الجيش الحر الذين يقاتلون النظام».

التاجر (أبو أحمد) استهجن من جهته قيام داعش بملاحقة الأئمة الذين كانوا يؤيدون الجيش الحر، واعتبر بعضهم مرتدا ردة مغلظة، «كما أنه يضيق على الصوفيين ويلاحق شيوخهم»، ويعطف الطالب (ع. ن) على أبو أحمد بالقول إن المساجد استمرت «منارة للتلاقي والتلاقح بين المذاهب الإسلامية الفكرية والثقافية المختلفة. المسجد كان منبراً للشعراء، (حسان بن ثابت رضي الله عنه) مثالا، وكان أيضا منبراً للمؤتمرات والخطب السياسية المختلفة، ومكاناً لاستقبال الوفود والتفاوض معهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين (وفد نجران)، وليس للتنافر والتنابز، النبي صلى الله عليه وسلم تفاوض فيه مع غير المسلم، فكيف يصبح منبراً لتكفير المسلم؟ هذا ما لم أقبله، ولن أقبله».

استخدمت داعش، ذات الإيديولوجيا الدينية الإسلامية المتطرفة، المساجد لتكون مراكز إعلامية وتعبوية لها لعسكرة المجتمعات، وحارب أعداءه من منابرها، وهو يمضي في استقطاب الناس عن طريق استخدام الخطاب العاطفي، ويزداد هذا الأسلوب كلما ازداد الضغط الدولي على التنظيم، والتلويح بالقوة ضده، والمساجد اليوم كلها ترفع راياته وتسبح بفكره الذي لا يناقش، ولا يقبل المناظرات، فيما الشيوخ المعتدلون الذين حرموا من منابرهم، يرددون في سرهم: كيف لقلم أن يحاور سيفا؟!.

بيعة للبغدادي في أحد مساجد الرقة | صفحة ولاية الرقة على الانترنت

مدينة زاكية في ريف دمشق

محاصرة بأربعة حواجز وانقطاع شبه تام للكهرباء والمياه والاتصالات

■ دمشق - زليخة سالم

زاكية المدينة الهادئة الصغيرة بريف دمشق، التي يحكى الكثير عن طيب أهلها وكرمهم وتميزهم، تعاني اليوم كما باقي المناطق المحاصرة التي يتبع معها النظام «سياسة الجوع أو الركوع » من وضع إنساني بالغ السوء، خاصة وأنها تستضيف أكثر من ضعف سكانها، من الأهالي النازحين من المناطق المجاورة التي تعرضت للقصف والدمار.

حصار وتجويع ومنع دخول المواد الغذائية والإنسانية والطبية، وقطع الكهرباء والمياه والاتصالات، واستهداف المزارعين الذين يحاولون الوصول إلى أراضيهم، باتت مشاهد مكررة في جميع المناطق المحاصرة عقاباً لأهاليها المطالبين بالحرية والكرامة، وعقاباً آخر لاستضافتهم النازحين من المناطق الثائرة، ومدينة زاكية ليست بأفضل حالاً من باقي المناطق التي تشهد أوضاعاً إنسانية مأساوية.

الناشط إبراهيم طعمة قال لسوريتنا حول الوضع الإنساني في البلدة: تعاني مدينة زاكية من وضع إنساني سيء للغاية حيث تضم عدد كبير من النازحين إليها من المدن والبلدات المنكوبة وخاصة البلدات المجاورة في الغوطة الغربية، الذين يسكن أغلبهم في الصفوف الدراسية والمحلات التجارية والبيوت قيد البناء (على العضم)، موضحاً أن حال أهالي المدينة ليس أفضل حالاً من النازحين بسبب صعوبة المعيشة وتعطل أعمالهم الزراعية بسبب الجفاف من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب استهدافهم من قبل الجيش ومنعهم من الوصول إلى حقولهم واعتقالهم أحيانا حيث اعتقل الجيش مرة واحدة قرابة ال30 فلاح كانوا يقومون بأعمالهم اليومية منذ سنة نصف ومازال مصيرهم مجهولاً حتى الآن.

وأضاف: هناك نقص حاد في المواد الأساسية، وصعوبة وصول هذه المواد إلى المدينة والحصول عليها، يؤدي إلى ارتفاع أسعارها، إضافة إلى نقص الموارد بسبب فقدان كثير من الناس فرص عملهم.

وأشار الناشط طعمة إلى أن المدينة تعاني من انقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة وغالباً تكاد تكون معدومة، مما يترتب عليه انقطاع المياه بسبب الاعتماد على الكهرباء في استجرارها، إضافة إلى انقطاع شبكات الاتصال الخلوية عند غياب الكهرباء، وتعطل الاتصالات الأرضية في بعض الأحياء منذ شهور.

وحول الوضع الصحي قال: تنتشر في مراكز الإيواء (المدارس التي تحولت لمساكن) أمراض عديدة بسبب قلة المياه والنظافة، وكثرة الساكنين، وتعاني المدينة من نقص في الكوادر والمواد الطبية وصعوبة في تقديم العلاج وخصوصاً في حالات الطوارئ « القصف».

ويوجد تضييق على دخول وخروج الأهالي من المدينة، وعلى دخول الاحتياجات إليها من قبل الحواجز الأربعة الموجودة على طريق الفرقة السابعة شرقي المدينة، وهناك استهداف وقصف متكرر للطريق الغربي من قبل الفوج 137 وحاجز الديرخبية مما يعيق وصول الفلاحين إلى حقولهم.

وأكد الناشط طعمة أن قوات النظام تتحكم بدخول مادة الطحين وكافة المواد الإغاثية إلى المدينة، وقد منعت منذ خمسة أشهر دخول المساعدات التي كانت تقدمها منظمة الهلال الأحمر مما حرم أكثر من 35 ألف نازح من السلل الإغاثية، ولم يكن هناك أي استجابة رغم كثرة المناشدات، لإغاثة الأهالي المحاصرين.

وحول الوضع التعليمي قال: تضم مدينة زاكية الآن أكثر من 60 ألف نسمة، بعد نزوح أكثر من 35 ألف نسمة من المناطق المجاورة، والوضع التعليمي في العام الماضي كان صعب ومحرج بسبب تحول المدارس إلى مراكز إيواء مما اضطر القائمين على التعليم إلى تقسيم المدارس مناصفة بين النازحين والطلاب، والاستعدادات لهذا العام خجولة حيث يستمر تواجد النازحين في المدارس وبشكل متزايد وهناك ضعف في الإمكانيات فتم بناء غرف من الألواح المعدنية والخشب لانتقال النازحين إليها وإفراغ الصفوف وتجهيزها للدراسة.

وأضاف: مدينة زاكية من المناطق المحاصرة من قبل الجيش النظامي نتيجة سيطرته على التلال المحيطة بالمدينة، ويقوم المجلس المحلي فيها بالإشراف على أعمال الإغاثة والطبابة، ويتبع للمجلس المحلي مكتب عسكري مكون من المجموعات العسكرية، وكتيبة أمنية ينظم المكتب العسكري عمل العسكريين فيها، ويقوم بحراسة المدينة وضبط المخالفات ويعمل معظم سكان البلدة بالزراعة والتجارة وتربية المواشي.

وأختتم الناشط إبراهيم طعمة بالقول: يخيم على الناس حالة من الاكتئاب واليأس ونوع من التململ بسبب طول الأزمة وتفاقم الأوضاع يوما بعد يوم، وأطفال المدينة حالهم كحال كل أطفال سورية، يحلمون بمستقبل مشرق ووطن حر يجدون فيه مكانا للعيش الكريم، مشيراً أنه لا يوجد أي نشاطات مدنية ملحوظة تعتني بالأطفال، وأن الدمار في البلدة غير ملحوظ باستثناء بعض البيوت التي طالها القصف المدفعي أو ألقيت عليها حمم البراميل المتفجرة.

وكانت الشبكة السورية لحقوق الإنسان قد حذرت من الأوضاع المأساوية والجوع والتشرد لعشرات الآلاف من النازحين إلى مدينة زاكية،

فريق الدفاع الوطني في مدينة زاكية

في ظل ازدياد عدد النازحين إليها بعد الحملة العسكرية التي شنها النظام على بلدات الثورة وعين البيضا والطيبة في الشهرين الماضيين، وصعوبة تأمين متطلباتهم الحياتية، بعد أن منعت قوات النظام وصول الحصص الغذائية المقدمة من الهلال الأحمر إليهم منذ نهاية آذار الماضي، حيث لم يدخل فريق الهلال الأحمر السوري إلى زاكية، التي كان يتردد إليها باستمرار، ويوزع ما لا يقل عن 4200 سلة غذائية كل شهرين مرة منذ ذلك التاريخ.

تقع مدينة زاكية في الجنوب الغربي من مدينة دمشق على بعد 30 كم عنها، وتتبع إداريا لمدينة الكسوة بريف دمشق، ويبلغ عدد سكانها الأصليين 25 ألف نسمة، ويحيط بها مجموعة من القرى والبلدات الصغيرة منها(بلدة الطيبة، الديرخبية، كناكر، خان الشيح، دير العدس، اركيس). ويتبع لمدينة زاكية عدة مزارع منها (شقحب، حوش العباسة، المازنية).

وتتصف طبيعة زاكية التي تتسم بعادات وتقاليد ولهجة مميزة، بالسهلية المتموجة، ويبلغ متوسط ارتفاعها 750م عن سطح البحر، مع وجود بعض التلال في القسم الجنوبي مثل تل الشيح وتل الحرادين، ويميزها حالياً الأغشية البازلتية التي شكلت مجموعة من الوعرات التابعة لها إدارياً مثل وعرة السهلة، الوعرة الشرقية، الوعرة الوسطى، وعرة الكلتة، وعرة المصامدية ووعرة العباسة.

يمر من شمال المدينة « نهر الأعوج « الذي ينبع من جبل الشيخ مشكلاً المصدر الرئيسي لمياه الري لمجموعة من المناطق والقرى التي يمر بها عبر فروع أو قنوات للري مثل الزوكاني والديرخباني والديراني والكناكري ضمن أراضي زاكية وبلدة الديرخبية وغيرها من البلدات والفروع، ثم يتابع الأعوج مسيره حتى يصب في بحيرة الهيجانة، وقد مرت سنوات عديدة لم يصل فيها الأعوج إلى هذه البحيرة.

وحسب مواقع متعددة فقد كانت «الغيضة» ذات الأشجار الباسقة على ضفاف النهرفي البلدة محجاً للناس من دمشق وغيرها يقصدونها من مختلف المناطق، قبل أن تصاب المنطقة بالجفاف والقحط الذي أدى إلى جفاف النهر ويباس الأشجار.

وتراجعت أهمية الزراعة في المدينة التي كان يعتمد معظم سكانها في حياتهم المعيشية على الاقتصاد الزراعي بسبب موجات الجفاف وقلة مياه نهر الأعوج التي سرعان ما تنقطع في بداية الصيف.

مدينة زاكية تلك المدينة التي اختار أول من سكنها بأن تكون في هذا المكان بين الصخور البركانية السوداء حول مرتفع صخري بنيت عليه مساكن حجرية سماها أهل المدينة فيما بعد بـ «قلعة بيت خريبة» نسبة إلى أكثر من يسكن هذه القلعة، حسب موسوعة ويكيبديا، ليست المرة الأولى التي تستضيف نازحين فيها فقد سبق لها أن استضافت عدد كبير من الأسر النازحة من كناكر أيام حرب تشرين، وقدموا لهم واجب الضيافة حسب شهادة أهل كناكر.

نسب مخيفة لحالات التسمم الغذائي في حلب بسبب الأطعمة الفاسدة

■ حلب - عثمان إدلبي

منتجات غذائية مجهولة المصدر على أرصفة مدينة حلب | آب 2014

أكثر من عشرين حالة تسمم غذائي يزورون المستشفى الجامعي في حلب يوميا، تقتصر مهام الأطباء في معالجة هؤلاء المصابين على إعطائهم جرعات دوائية تفرغ ما في معدتهم من أطعمة فاسدة وفي ظل امتلاء المستشفى بمصابي الحرب لم يعد هناك مكان لهؤلاء المصابين على الأسرة الموجودة في ممرات المستشفى فيوضعون عليها لبضع ساعات ليستفرغوا ما في جوفهم، معظم حالات التسمم كانت بسبب تناول الأطعمة الفاسدة والمياه الملوثة، ففي ظل غياب الرقابة الصحية والتموينية من قبل النظام تنتشر الأطعمة الفاسدة والمنتهية الصلاحية بشكل كبير كما أن البسطات التي تنتشر في الشوارع وتبيع الأطعمة والسندويش سببت أزمات صحية أودت بحياة بعض الأشخاص نتيجة لإصابتهم بحالات تسمم خطيرة.

25 مطعماً بالشمع الأحمر تحولوا إلى بسطات

بعد الارتفاع المخيف في نسبة الإصابات بحالات التسمم الغذائي في حلب أجبر المسؤولون على اتخاذ إجراءات سريعة للحد من هذه الإصابات، فكلف المحافظ لجان تابعة لمديرية الصحة بضبط حالات المخالفات الصحية التي يقوم بها أصحاب المطاعم، ففي يوم واحد أغلق أكثر من خمسة وعشرين مطعماً في حلب غالبية المطاعم كانت في حي الجميلية والحمدانية وركزت اللجنة الصحية على المطاعم الشعبية التي يوجد عليها إقبال كبير من الناس كمطاعم الفلافل والشاورما وكانت معظم المخالفات هي لاستخدام مواد غذائية فاسدة كالقلي في زيت فاسد واستخدام لحوم مستوردة، ولكن بعد يوم واحد من إغلاق هذه المطاعم عاد أصحاب هذه المحلات للبيع على بسطات وضعوها أمام محلاتهم، ويقول منذر «أغلقت الصحة هذه المحلات لكي تتجنب نقد الناس ولكي تريهم بأن مديرية الصحة تعمل وأنها ضبطت مخالفات المطاعم، ولكنه عمليا قد زادت مديرية الصحة من المشكلة فهي لم تكافح البسطات بل زادت عليهم المطاعم التي أغلقتها وجعلتها بسطات تبيع في الشوارع».

قام البعض من الأطباء بحملة توعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي للحد من حالات التسمم التي ارتفعت نسبتها بشكل كبير في مدينة حلب، محذرين الناس من بائعي الأطعمة الذين يتجولن في الشوارع كون بسطاتهم تخلو من أدنى معايير السلامة الصحية ولأنها معرضة للغبار وتلامس الهواء المختلط بأدخنة السيارات والمولدات، وطالب هؤلاء الأطباء المسئولين في الدولة بملاحقة بائعي الأطعمة الجوالين ومنعهم من بيع المأكولات التي تشكل خطرا على حياة الناس كما طالبوا بفرض الرقابة والمحاسبة على أصحاب المطاعم وإلزامهم بالمعايير الصحية التي تحفظ سلامة المواطن، ويقول الدكتور محمد «وجهنا رسالة لنقيب الأطباء لكي يوصلها للمحافظ طالبين منه أن يكافح ظاهرة بسطات الأطعمة ولكن محولاتنا للحد من انتشار هذه البسطات لم تحظى بأي رد أو اهتمام من قبل الجهات المسؤولة التابعة للنظام، فكل صاحب بسطة يؤمن لنفسه الحماية أما عن طريق أحد الشبيحة أو عن طريق الرشاوى التي يدفعونها لموظفي الصحة لكي يغضوا النظر عنهم».

تسمم الآبار ينشر التيفوئيد

انتشرت الحمى التيفية (التيفوئيد) بشكل كبير في حلب وهذا المرض هو إحدى أنواع التسمم المعوي نتيجة الإصابة ببكتريا (سالمونيلا تيفي)، انتشر هذا المرض نتيجة لشرب المياه الملوثة فنتيجة لانقطاع المياه عن مدينة حلب لفترات طويلة لجا الناس لشرب مياه الآبار الغير صالحة للشرب، ويحذر الأطباء من خطورة هذا المرض وتقول الدكتورة مروة «أن جميع الآبار الموجودة في حلب مياهها غير صالحة للشرب كونها محفورة لأعماق قليلة وهي معرضة للاختلاط بمياه الصرف الصحي، كما أن نقل هذه المياه عبر الصهاريج ذات الخزانات المعدنية يزيد من إمكانية انتشار البكتريا في المياه، وفي الفترة الماضية التي قطعت فيها المياه عن حلب زادت نسبة الإصابة بمرض التفوئيد بشكل كبير جدا وسجلت بعض حالات الوفاة في المدينة بسبب التسمم بمياه الآبار».

عدم توفر العلاج اللازم لمرض التيفوئيد جعل الأطباء يجزرون الناس من شرب مياه الآبار واستخدامها للأغراض الشخصية، ويقول الدكتور مهند «لا تتوفر الأدوية اللازمة لعلاج مرض التيفوئيد بشكل دائم فأن علاج هذا المرض يتطلب أخذ مضادات حيوية ومسكنات وفي بعض الحالات الخطرة يحتاج المريض إلى سوائل وريدية، ففي ظل ارتفاع نسب الإصابات في مرض التيفوئيد قلت الأدوية التي تلزم لعلاج هذا المرض ونجد صعوبة في إيجادها وإدخالها إلى حلب».

الصابئة المندائيون وخوف الإبادة الجماعية: معمدانيو الماء والدم

■ ياسر مرزوق

دخلت المنطقة البازار السياسي المفتوح وهناك حديث عن إعادة تشكيل للمنطقة أو تغيير لقواعد اللعبة ممتدٍ من غزة إلى بغداد مروراً بجرح دمشق النازف، وعنوان البازار وأداته التفاوض بالدم، حيث نرى اشتعالاً لكل الجبهات وغموضاً يلف الأفق، إيران تخسر في العراق لاسيما أن العبادي حليف للغرب لا تابعاً لخامنئي، ونظام الأسد متعنتٌ يجري وراء الوهم، ودول الجوار مترقبة مستفزة أمام زلزال المنطقة.

وفي بازار الدم يخسر الجميع لكن خسارة الأقليات يستحيل جبرها، في ملفنا اليوم استكمالٌ لملفٍ سابق عن الأقليات المنقرضة في شرقنا العربي، وسنخصص ملفنا اليوم للصابئة المندائية الذين إذا ما استمر استهدافهم بهذه الوتيرة سيتم إفراغ العراق قريباً من أقدم وأعرق وأصغر مكوناته وبالتالي اندثار تراث وثقافة موغلة في القدم وفريدة وهو ما يمثل ليس خسارة للعراق فحسب بل للبشرية جمعاء.

عن الصابئة المندائية

يتواجد الصابئة المندائيون منذ القدم في جنوب ما بين النهرين، واللغة التي ينطقون بها هي اللغة المندائية الآرامية بلهجتها الشرقية، وألمح الكثير من المؤرخين إلى إن معتقدات الصابئة المندائية برزت في بابل أولاً. وقد تمخض البحث في منشأ المندائيين عن نظريتين الأولى: إنهم من سكان ما بين النهرين القدماء وإنهم ورثوا الكثير من الميثولوجيا البابلية ولكنهم تأثروا باليهودية بحكم تجاورهم مع اليهود الذين سكنوا ما بين النهرين، كما تأثروا بالمسيحية من خلال الاحتكاك بالنساطرة المسيحيين.

أما النظرية الثانية فيرى البعض إن منشأهم كان في الغرب، في منطقة البحر الميت (فلسطين) أو في شرق الأردن حيث كانوا يمارسون شعيرة التعميد هناك.

يرجع الباحث "عزيز اسباهي" في كتابه "أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية": "لقد أشار العديد من المؤرخين إلى أن معتقدات الصابئة المندائية برزت لأول مرة في جنوب ما بين النهرين. فقد ذهب هنري لا يرد عالم الآثار البريطاني الذي أسهم في الكشف عن الآثار الأشورية إلى أن الدين الآشوري في أيامه المبكرة الأولى وقبل أن تمسه التأثيرات الفارسية وغيرها (هو امتداد للدين البابلي) كان صابئي المنحى".

أما "الليدي دراور" في كتابها "الصابئة المندائيين" فتقول: "إن الصابئة المندائية تمتد إلى العهد السومري، ولدعم هذه النظرية نقوم بمقارنة بين الدين الصابئي والسومري. فكلا الديانتين تعظمان الماء وتضعانه في منزلة عظيمة".

وقد انقسم الصابئة قديماً إلى أربعة فرق هي: أصحاب الروحانيات، أصحاب الهياكل، أصحاب الأشخاص، والحلولية اشتهر منهم الصابئة الحرانيون الذين تعرضوا للاضطهاد في بدايات القرن الأول الميلادي، وكانت معتقداتهم تختلف بعض الشيء عن الصابئة المندائية.

وبهذا الصدد يشير كتاب "حران كويثا" أو "حران السفلى" وهو أحد الكتب الدينية الذي يتحدث عن تأريخ الصابئة المندائيين إلى تعرض المندائيين في القرن الميلادي الأول وفي بداية الدعوة المسيحية إلى الإرهاب والمجازر وحملة إبادة جماعية للمندائيين في مدينة أورشليم سنة 70م التي كان يسيطر عليها الحكم الروماني حيث تمت إبادة آلاف المندائيين ومن بينهم 360 رجل دين مندائي وكانت هذه المذبحة العامل الأساسي في هجرتهم الأولى من اورشليم والعودة إلى موطنهم الاصلي في وادي الرافدين ووقف التبشير بالدين المندائي مما أثر على أعدادهم لاحقا.

و الصابئة المندائية هم طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، وفي بداية الثمانينات من القرن الماضي كان عددهم يزيد على 100 ألف نسمة ينتشرون على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات، ويسكنون في منطقة الأهواز وشط العرب، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة، وهي موضع اقتران دجلة بالفرات، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد، والحلة، والديوانية والكوت وكركوك والموصل. كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والجبايش والسليمانية.

كذلك ينتشرون في إيران، وتحديداً على ضفاف نهر الكارون والدز ويسكنون في مدن إيران الساحلية، كالمحمرة، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول.

وللصابئة في العراق مجلس روحاني ورئاسة طائفة، تقوم بدور متابعة أحوالهم الدينية، يترأسها شيخ بدرجة دينية كبرى "ريش أمة" أي رئيس الأمة، وذلك إذا علمنا أن درجاتهم الدينية كالآتي: الحلالي، والتلميذ، والكنز برا "مفسر الكتاب المقدس" وريش أمة، والرباني، لكن الدرجة الأخير لم يبلغها إلا يوحنا المعمدان، أي النبي يحيى، واسمه في المندائية: يهيها يهانا، ومعناها محي الأمة، واسم يحيى، على ما يبدو، منحوت من تلك التسمية، كما يتخذ الصابئة من الدرفش المندائي، رمزاً لديانتهم ويتكون من صليب وعليه قميص النبي يحيى.

ولا يوجد لدى "الصابئة المندائيين" أي طموح سياسي، وهم يتقربون إلى أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه الموجودة بينهم وبين الآخرين، ويشتهرون بصناعة الفضة، وبراعتهم في تلك الصناعة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية، ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا، كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر.

أصل التسمية

ترجع المصادر تسمية المندائيين إلى الجذر اللغوي "مندا أو مندع" والذي يعني باللغة المندائية "العلم أو المعرفة" أما كلمة الصابئة فهي مشتقة من الجذر "صبا" والذي يعني باللغة المندائية اصطبغ، تعمد، غط أو غطس في الماء وهي من أهم شعائرهم الدينية وبذلك يكون معنى الصابئة المندائيين، المتعمدين العارفين لدين الحق أو العارفين بوجود الخالق الأوحد الأزلي.

بعض علماء اللغة اختلف في أصل كلمة الصابئة وأرجعها إلى الجذر العربي "صبأ" ومنهم الشهرستاني في كتاب "الملل والنحل" الجزء الثاني الصفحة السابعة: "في اللغة صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة"، لكن هذا الرأي بقي ضعيفاً خاصة بعد العثور على آثار مندائية قديمة تدعم الأصل الآرامي المندائي.

معتقدات الطائفة

أحيطت المعتقدات المندائية بالكثير من اللبس والغموض كون ديانتهم غير تبشيرية ولعدم تمكنهم التحدث بلغتهم ومن ممارسة طقوسهم الدينية بحرية وبشكل علني أكتنف الغموض هذه الديانة، ويذكر" د. رشيد الخيون في كتابه "الأديان والمذاهب بالعراق": "إن الجهل في تأريخ هذا الدين بسبب سريته جعل الطبري ينقل عن الصنعاني / ت 211هـ عن سفيان الثوري بقوله (الصابئون قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين). كما برر البعض نجاستهم لأنهم مشركون حسب الآية القرآنية.. (إنما المشركون نجس) (سورة التوبة)، رغم أن التعميد في الماء الجاري يعتبر من أهم طقوسهم الدينية".

كما اتهم المندائيون زوراً أو جهلاً بعبادة الأجرام والكواكب فكتب عنهم في الثلاثينات من القرن الماضي المؤرخ العراقي المعروف عبد الرزاق الحسني في كتابه "الصابئون في حاضرهم وماضيهم" حيث شوه ديانتهم واتهمهم بأنهم من عبدة الكواكب والنجوم، تقول "الليدي دراور" في كتابها السابق الذكر: في الحقيقة إن الصابئين لا يعبدون الأجرام السماوية غير إنهم يعتقدون بأن النجوم والكواكب تحتوي على مخلوقات حية هي أرواح ثانوية تابعة لأمر ملك النور "ملكا دنهورا" وإنها تتحكم بمصائر البشر، ويصاحب هذه الأرواح الخيرة أضدادها من الأرواح الشريرة ففي فلك الشمس "شامش" ينتصب شامش الخير النافع رمز الخصب والخضرة ومعه الروح الشريرة المهلك "أدوناي" مع أرواح نورانية حارسة أخرى.

تدعو المندائية للإيمان باللّه ووحدانيته ويسمى بالحي العظيم أو الحي الأزلي حيث جاء في كتاب المندائيين المقدس "كنزا ربا" أن الحي العظيم أنبعث من ذاته وبأمره وكلمته تكونت جميع المخلوقات والملائكة التي تمجده وتسبحه في عالمها النوراني كذلك بأمره تم خلق آدم وحواء من الصلصال عارفين بتعاليم الدين المندائي وقد أمر اللّه آدم بتعليم هذا الدين لذريته لينشروه من بعده.

أما كتبهم المقدسة فهي: الكتاب المقدس "كنزا ربا": ويعني الكنز العظيم ويعتقدون أنه يجمع صحف آدم وشيث وسام ويقع في 600 صفحة وهو بقسمين: الأول، ويتضمن سفر التكوين وتعاليم "الحي العظيم" والصراع الدائر بين الخير والشر والنور والظلام وكذلك هبوط "النفس" في جسد آدم ويتضمن كذلك تسبيحا للخالق وأحكام فقهية ودينية. الثاني، ويتناول قضايا "النفس" وما يلحقها من عقاب وثواب.

كتاب "دراشة أد يهيا": ويعتقدون أنه تعاليم وحكم ومواعظ يحيى بن زكريا، وكتاب "الأنفس": ويقولون أنه يضم قصة هبوط النفس في جسد آدم، وكتاب "آدم بغرة": وهو شرح لجسد الإنسان عندهم، وكتاب "القلستا": وهو تراتيل طقوس الزواج عندهم، وكتاب "النياني": وهو كتاب الصلاة والأدعية عندهم.

ويؤمن المندائيون بعدد من الأنبياء هم آدم، شيت بن آدم، سام بن نوح، يحيى بن زكريا، لكن اسمهم ارتبط بالنبي إبراهيم الخليل الذي عاش في مدينة أور السومرية منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

أركان الديانة

ترتكز الديانة المندائية على خمسة أركان هي:

التوحيد: حيث جاء في الآية الأولى من كتابهم المقدس، آية التوحيد: "إلهي منك كل شيء، يا عظيم يا سبحان، يا حكيم يا عظيم، يا اللّه المتعال الكريم، علا قدرتك على كل شيء، يا من ليس له شبيه، ولا نظير، يا راحم المؤمنين، يا منجي المؤمنين، يا عزيز يا حكيم، يا من ليس له شريك في قدرته، اسبح باسمك".

التعميد: يعد "التعميد" من أبرز معالم وأهم الشعائر الدينية لدى الصابئة، ويرون أنه تطهير للروح جسماً ونفساً، ويكون عبر تغطيس الجسم في الماء الجاري في يوم معين، وهو يعادل تعميد 60 يوما من الأيام الاعتيادية التي تقام يوم الأحد أسبوعيا وفق مبادئ طائفة الصابئة، ولا يكون إلا في الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلا بالارتماء في الماء سواء أكان الوقت صيفا أو شتاء، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في دورات المياه، كما وأجازوا لهم ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة، ويتم التعميد على أيدي رجال الدين في عدة حالات، هي: عماد الولادة، عماد الزواج، عماد الجماعة، وعماد الأعياد، وقد حافظ طقس التعميد

مراسيم العمادة في الاحتفال بعيد الكرصة | AP

على أصوله القديمة حيث يعتقد بأنه هو نفسه الذي ناله المسيح عيسى بن مريم المسيح عند تعميده من قبل يحيى بن زكريا "يوحنا المعمدان".

الصلاة "براخا": تسبق الصلاة اليومية والتي تعتبر فرضاً على كل مندائي وتؤدى ثلاث مرات في اليوم اغتسال يشبه إلى حد كبير الوضوء عند المسلمين، ويتجه الصابئة المندائيون في صلاتهم ولدى ممارستهم لشعائرهم الدينية نحو جهة الشمال لاعتقادهم بأن عالم الأنوار الجنة يقع في ذلك المكان المقدس من الكون الذي تعرج إليه النفوس في النهاية لتنعم بالخلود إلى جوار ربها، ويستدل على اتجاه الشمال بواسطة النجم القطبي.

الصيام: يعتبر الصابئة أن "الصيام" تحريم ما أحل الله، ومع ذلك يمتنعون عن أكل اللحوم المباحة 36 يوما متفرقة طول العام، حيث جاء في كتابهم "صوموا الصوم العظيم ولا تقطعوه إلى أن تغادر أجسادكم، صوماً كثيراً لا عن مآكل ومشرب هذه الدنيا.. صوموا صوم العقل والقلب والضمير".

الصدقة "زدقا": يشترط الصابئة لصحة الصدقة الكتمان وعدم المجاهرة بأدائها وقد ورد في كتابهم المقدس: "إن وهبتم صدقة أيها المؤمنون، فلا تجاهروا إن وهبتم بيمينكم فلا تخبروا شمالكم، وإن وهبتم بشمالكم فلا تخبروا يمينكم كل من وهب صدقة وتحدث عنها كافر لا ثواب له".

أما المحرمات في الديانة المندائية فهي: التجديف باسم الخالق "الكفر"، عدم أداء الفروض الدينية، القتل، الزنا، السرقة، الكذب، شهادة الزور، خيانة الأمانة والعهد، الحسد، النميمة، الغيبة، التحدث والإخبار بالصدقات المعطاة، القسم الباطل، عبادة الشهوات، الشعوذة والسحر، الختان، شرب الخمر، الربا، البكاء على الميت ولبس السواد، تلويث الطبيعة والأنهار، أكل الميت والدم والحامل والجارح والكاسر من الحيوانات والذي هاجمه حيوان مفترس، الطلاق إلا في ظروف خاصة جداً، الانتحار وإنهاء الحياة والإجهاض، تعذيب النفس وإيذاء الجسد، الرهبنة، وزواج غير الصابئة.

سلسة الاضطهاد

تعرض الصابئة المندائية للاضطهاد عبر تاريخهم الطويل مما جعل الطائفة في بدايات القرن الحادي والعشرين على حافة الانقراض، وأول إبادة جماعية للصابئة كانت في القرن الأول الميلادي حيث تم تهجيرهم من القدس وإعادتهم إلى بلاد الرافدين، وفي زمن حكم الملك الساساني بهرام الأول عام 273 م في ايران جرت حملة إرهاب وابادة جماعية بحق المندائيين حيث تم قتل الألاف.

وطوال الحكم الاسلامي للعراق لم ينعم المندائيون بفترة استقرار واضحة بل بقوا تحت رحمة الفتاوى المتضاربة التي تخرجهم من عقد الذمة ثم تعيدهم إليه مقابل جزيةٍ أكبر.

في عام 1870 وفي مدينة شوشتر الإيرانية القريبة من مدينة الشوش والأهواز تعرض المندائيون لعملية إبادة جماعية حيث تمت قتل غالبية سكان المدينة والبالغ عددهم 20 ألف مندائي على يد الحاكم الايراني آنذاك ناصر الدين شاه الذي حكم إيران من سنة 1831 م - 1896.

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى للفترة من 1914 - 1918 وسقوط الدولة العثمانية سنة 1918 ودخول القوات الإنكليزية للعراق واحتلال البصرة ومن ثم توجههم نحو بغداد من خلال مدن جنوب العراق التي يقطنها نسبة كبيرة من المندائيين وهي الممر الوحيد لقوات الاحتلال الإنكليزي باتجاه بغداد، أثر ذلك على تواجد المندائيين في تلك المدن والاهوار حيث تعرض الصابئة المندائيين لظروف عصيبة جداً بسبب ظروف الحرب وفقدان الأمن وعدم وجود المؤسسات الحكومية، وانتشار الفوضى وانعكس ذلك على حياتهم وديانتهم مباشرة حيث تعرضوا إلى عمليات القتل والسطو والنهب وخطف النساء وإجبارهم على ترك دينهم ومنعهم من ممارسة طقوسهم الدينية مما أدى إلى هجرتهم إلى مدن اخرى أكثر هدوءا.

وما إن تمكن المحتل الانكليزي في العراق حتى وقع المندائيون بين طرفي كماشة، الحملات التبشيرية الأوروبية التي تهدف إلى تحولهم للمسيحية وبين ضغط وتهديد إسلامي من سكان المنطقة للتحول إلى الديانة الإسلامية.

وعند تشريع أول دستور عراقي سنة 1924 لم يرد اسمهم به أسوة بالديانات الأخرى المسيحية واليهودية في مواده 76 78، 79 التي نصت على أن الأفراد المنتمين لهاتين الطائفتين تطبق بحقهم موادهم الشخصية الخاصة بهم أما الصابئة المندائيين فتطبق بحقهم نصوص الأحوال الشخصية للمسلمين وعلى المذهب الحنفي على وجه الخصوص مما أضر ذلك ضررا" بليغا" بالطائفة.

ولم تنصف الحكومات العراقية المتتالية أبناء الطائفة باستثناء السنوات القليلة لحكم عبد الكريم قاسم الذي أبدى نوعاً من الإنصاف اتجاه الطائفة وتم اختيار الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيساً لجامعة بغداد وهو أعلى منصب حصل عليه مندائي وكانت هناك بعض الوعود بأنصافهم واحترام حقوقهم وبناء معابد لهم ولكن الأمر لم يستمر طويلا، وعادت الأمور إلى سابق عهدها مع انقلاب عام 1963.

وفي الثمانينات من القرن الماضي ودخول العراق الحرب مع ايران تعرض الصابئة المندائيون في العراق إلى عمليات تصفية من جديد وارسل غالبية شبابهم إلى الجيش ومن ثم إلى الخطوط الأمامية للجبهة رغم ان ديانتهم تحرم القتال بغية التخلص منهم لما يملكونه من حس وطني، وأستشهد منهم ما يزيد عن 25٪ من مجموع شباب الطائفة في تلك الفترة والذي تجاوز عدة مئات، أضافة لعشرات الشهداء المناضلين الذين أعدموا لأسباب سياسية، وبعد انتفاضة آذار 1991 خضع العراق للموجة الدينية الطائفية التي كان يقودها عزت الدوري وثبت في كتاب التربية القومية المخصص للصف الثاني المتوسط والصف الرابع الإعدادي ما معناه ان الصابئة المندائيين من عبدة الكواكب والنجوم.

رغم الاضطهاد والتهميش دلت الاحصائيات على أن عدد الصابئة في العراق يقدر بحوالي 70 ألفا قبل الغزو الأمريكي للعراق عام 2003أما الآن فأفضل التقديرات تشير إلى أن عددهم تراجع إلى اقل من عشرة آلاف بعد اضطرار غالبيتهم العظمى إلى الهجرة إلى خارج العراق بسبب تعرضهم للقتل والتهجير والخطف في مختلف أرجاء العراق.

وقالت منظمة حماية الأقليات التي مقرها لندن في تقرير نشرته في شهر شباط من هذا العام إن هذه الأقلية "مهددة بالزوال لأن تعاليمها الدينية تحرم أتباعها حمل السلاح أو ممارسة العنف مما يجعلها هدفا سهلا لمختلف أشكال العنف".

والأمثلة على استهداف الصابئة لا تعد ولا تحصى بل حتى معابدهم لم تسلم، فالمعبد الوحيد لهم في مدينة البصرة تم تدميره من قبل مليشيا محلية أواسط 2006، وتشير الإحصاءات التي ذكرتها الرابطة الوطنية للمندائيين إلى حجم العنف والجرائم المرعبة التي تعرض لها الصابئة خلال الفترة من تشرين الأول 2003 إلى آذار 2006 ومنها مقتل 504 منهم وخطف 118 ومغادرة 4663 عائلة إلى خارج العراق وكان عدد العائلات الباقية في العراق شهر آذار من عام 2006 فقط 1162، فعلى سبيل المثال كان عدد عائلاتهم في بغداد قبل الغزو 1600 عائلة لم يبق منهم حتى نيسان 2006 سوى 150 عائلة.

اليوم ومع سيطرة داعش على معاقل الإيزيدية أو محاصرتها وتعرضهم للقتل الممنهج يتحسس المندائيون الخطر الداهم الذي لم يشهده تاريخهم الحافل بالاضطهاد والمئات المتبقية من هذه الطائفة هي في ذمة البشرية جمعاء لا العراقيين وحدهم..

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان 1991 - 1994

1991 / 12 / 24

عندما يطلع المرء على حجم الصحافة الفلسطينية، وحجم إعلامها لا يؤخذ بالذهول، بل يشعر المرء بالوطنية على أرض هذا الوطن الممزق. إنها صحافة جادة، ومناضلة، وعلامة من علامات رفع مستوى هذه الصحافة العربية الرسمية، الملأى بالهجانة، والتشويه والتهافت.

اليوم وقعت بين يدي مجلة « بلسم « العدد 173 التي تصدر عن المؤسسة الصحافية سنابل ومقرها نيقوسيا العاصمة القبرصية. ما ملأني فخراً المقال الطبي النفسي والجسدي، وهذا يعطي فكرة عن تكامل النضال الفلسطيني، وارتفاع مستوى المواجهة مع العدو الصهيوني على كافة المستويات. في الوقت الذي تنهض فيه الحكومات العربية لإبرام صفقات الذل والخيانة مع الدولة العبرية الغاصبة، هناك مقالات عن مبادئ الجراحة عند العرب، وعن معجم طبي عربي والمدرسة والتثقيف الصحي، الانتفاضة والطفل الفلسطيني تحت الاحتلال، جريمة الاحتلال واجبنا الوطني، هذه عينة من المقالات التي طالعتها بفرح، واستيعاب واعتزاز، وهذه الصحافة تبدو أمام صحافة التعمية العربية، كالصحافة السورية وصحافة الأنظمة عامة التي تغطي الحقائق على المواطن العربي.

إننا هنا في السجن نشعر بالفخر كلما قرأنا رأياً محكماً، وتلمسنا الحرارة الوطنية. الصحافة الحقيقية هي التي محورها قضية فلسطين والنضال ضد الدولة العبرية، ومواجهة الإمبريالية العالمية.

وأنا أكتب هذه اليومية كان المذياع يبث خبراً عن استقالة غورباتشوف، وكنت أسمع من أفواه المساجين السباب المقذع عليه.

1991 / 12 / 25

صعدت مع وجيه معروف أبو رامي ابن قرية بو حكفا القريبة من السلمية، صعدت وإياه إلى الطابق الثاني وزرنا جناحاً لحزب العمل (الرابطة سابقاً). يحتوي الجناح على مئة وثمانية عشر سجيناً.

وحتى الآن لم يُفرج عن أحد منهم. إنهم جميعاً من جبال اللاذقية والساحل السوري، وريف دمشق والسلمية، حياتهم في المهاجع غير منظمة، لا يأكلون في وقت واحد، كل اثنين أو ثلاثة يأكلون معاً، الإفطار داخل في الغذاء، والغداء متصل بالمغرب، وكما سمعت أنهم جميعاً لا علاقة تنظيمية لهم بالحزب بل يدورون في فلكه ويقرؤن أدبياته، وميزة هذا الحزب اعتماده على الشباب، ودخوله مجال المرأة، الطالبة الجامعية أو المعلمة، ونسبة العمال والفلاحين قليلة – وهو ليس لوحده – بل كل التنظيمات المعارضة تشكو من ذلك.

1991 / 12 / 26

منذ يومين توقفت الحركة في السجن، ولم تحضر دوريات وباصات ولم تُتل أسماء، ولم نسمع قوائم وردت، وأخذ الجميع ينتظرون الساعة الثانية عشر جاءت الأخبار من الطابق الثالث عبر المنور تقول: أن حوالي الأربعة والأربعين من التيار الديني قد أخلي سبيلهم، ولم يبق في هذا الطابق سوى مئة وخمسين. سمعنا أن بعض الزيارات جاءت اليوم لجناح تنظيم التوحيد الطرابلسي.

جاء خبر وفاة والد وديع إبراهيم فحَزِنّا جميعاً، وكان وديع يأمل أن يخرج ويلتقي به حياً، ويعيدان معاً تلك الأحاديث الحاره على فنجان قهوة أو كوب من الشاي. توفي والده بسبب موجة من الفرح غمرته عندما أخبر من أحدهم أن ابنه وديع قد جاء مع أسماء الدفعات التي أفرج عنها. ووديع معتقل منذ عام 1980

1991 / 12 / 27

عندما كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف، وقفت أمام إحدى نوافذ الممر أنظر إلى الثلج المتساقط والذي ارتفع أكثر من خمس سنتيمترات.

وبعد نصف ساعة كان صوت المساعد حكمت وهو يتلو أسماءً. علمنا أنهم فلسطينيون ولبنانيون، من حزب التوحيد ومن حركة فتح. ثم حضر المساعد إلى جناحنا وتلا أسماء المهجع العاشر وهم مجموعة من الضباط مصنفون على التيار الديني وعددهم 14 سجيناً، وتلا أسماء تابعة للاتحاد الاشتراكي وهم ستة أسماء. وارتفعت معنويات الشباب وصاروا يهزجون مع هزيج الثلج في الخارج. أضحى مهجعان من المهاجع العشرة في جناحنا خاليان.

1991 / 12 / 28

جاءت إشاعات من زيارتي، وزيارة الآخرين تقول: إن النظام السياسي عرض على الدكتور الطبيب نور الدين الأتاسي رئيس الجمهورية السابق المتواجد في سجن المزة العسكري منذ خريف عام 1970 الخروج للعلاج الطبي وراء الحدود، وأنه عُرض كذلك على اللواء صلاح جديد القائد العسكري الانقلابي الذي قاد انقلاب 23 شباط على البعث القومي الإفراج دون قيد أو شرط فرفض وطالب بمحاكمته.

طبعاً هذه الأخبار غير مؤكدة، وغير موثوقه، وتبقى في حكم الخبر الصحافي غير المؤكد ضمن أخبار ترد إلينا لا تعد ولا تحصى. أخبرني ابني قصي عن عمله في فندق الشام، وعن أعماله خارج الفندق، وعن سكناه خلف البيت، وعن أمه في الدار المستأجرة في مساكن برزة. قال قصي: إن البيت الأساسي يستأجره ضابط ليبي ينجز دورة ركن، أما عن الإفراج فأخبر أن الأهالي في المدن، وفي الريف ينتظرون بصمت وحزن لأن الاعتقال يهددهم إذا بالغوا وصدرت عنهم الضجة أو تجمعوا في الشوارع.

1991 / 12 / 29

المتجمع لدينا من المعلومات أن عدد الباقين في هذا السجن 980 سجيناً، وأن من أخلي سبيلهم بلغ 1286. فكان السجن يضم من 2266 إلى 2300.

هناك لبنانيون من شتى التنظيمات: وهناك فلسطينيون: عرفاتيون، وتابعون لأبي العباس وهناك سوريون بعث عراق، وهناك التيار الديني، وهناك مرضى عضال (عشرون) وهناك خمسة عشر لم ينهوا أحكامهم.

1991 / 12 / 30

نعتقد – وهذا الاعتقاد خاطئ أو صائب – أنه سيفرج عنا اليوم أو غداً. لكن مساعديْ الانضباط في السجن نزيه وحكمت أدليا: أن لا إفراج عن أحد إلا بعد الثاني من الشهر القادم.

زملائي في المهجع – وجلهم من الرقة – كل يوم يخططون كيف يسافرون ويتساءلون: هل الأداة هي السيارة الصغيرة؟ أم الباص؟ أم أم.. وترى منظر العيون الدامعة وهي تأمل بالفرج القريب، إن الناس أذْهكوا.

الآن ينظر المرء إلى نهاية هذا العام، فيرى كل شيء في هذا الوطن العربي يتداعى، والذي يزيد في الحزن هذا الخراب المبَرمج.

1991 / 12 / 31

إنه آخر يوم من عام الواحد والتسعين، وبانتهائه نكمل التسعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة أيام. يعني أن امتطاء العام العاشر بات قريباً. الإفراجات الجماعية مع الإحتفاظ بنا ترك حزناً لدينا.. النظام ليس ضعيفاً، وقوته من قوة دوره. بدا هذا الدور جليّاً عندما قضى قضاء مبرماً في الساحة اللبنانية على القوات المشتركة، وجاب رأسها كمال جنبلاط، وسعى جاهداً للقضاء على الوجود الفلسطيني، ولم يتمكن من ياسر عرفات، وأحال الساحة اللبنانية إلى وحل يرشح بكل ما هو طائفي وغوغائي ومتعصب. وهذا الدور بدأ عندما تصدى للداخل السوري، فانتهك المدن واعتقل قادة النقابات المنتَخبة، وأعدم الآلاف (تطالبه منظمة العفو الدولية بـ 14 ألف معتقل سياسي). على سبيل التذكرة حقق هذا النظام الوحدة العربية، فزج بآلاف الفلسطينيين وآلاف اللبنانيين وألوف السوريين ولم يوفر الأردني أو العراقي الذي ورد على لسانه ذكر رئيس النظام، وهذا مس بالأمن القومي. كنا ننتظر إخلاء السبيل مع قدوم العام الجديد، وهبّت بدل ذلك العاصفة الثلجية، وقطع الجميع الأمل.. ودخل كل إلى مهجعه حزيناً.

نام الكثير في مهاجع غير مهاجعهم كي يتسامروا. أنا نمت في المهجع الأول.

سجن.. رأس السنة.. ثلج.. رياح.. فراق.. وهكذا برز الحزن حتى على القامات وعلى دوائر العينين.. سيحتفل أهلي بدوني وهم بدون برد أو صقيع..

الخوف والمقاومة.. بناء الهوية العلوية في سوريا (5)

فصل من أطروحة ماجستير في الجغرافيا البشرية في قسم علم الاجتماع والجغرافيا البشرية | جامعة أوسلو
■ تورستاين شيوتس وورين - شباط 2007 | ■ ترجمة: د. ياسر نديم سعيد
رابط النص الأصلي كاملاً: torstein.worren.info/downloads

الهيمنة السنّية والتمويه

طبقاً للعديد من العلويين الذين تحدثت معهم فإن هذا الاستخدام الذرائعي للهويات عن طريق إخفاء الهوية الشخصية منتشر بين العلويين ويشكل جزءاً من تقيتهم. يقول أحدهم أن هذا الأمر يعتمد على تقليد العائلة لأنه يختلف من منطقة لأخرى، ولكنه منتشر أكثر عند من يعيش في مجتمعات يسيطر فيها السنّة. بعض العائلات في المدن السنّية الرئيسية لا تعترف للغرباء أبداً بأنها علوية. نساؤهم يغطين أنفسهن لدى مغادرة المنزل ويلتزمن بالممارسات السنّية خارج المنزل لإكمال تمثيليتهن التحزيرية.

هذا الأمر مشابه جداً لما ذكرته حول العائلات العلوية التي سكنت حلب بعد المجازر واحتفظت سراً بدينها، وهذا ما لخصه أحد العلويين قائلاً: «كنا نختبئ لأننا ضعفاء لأننا أقلية. لا نريد أن نُقتل».

كما تم ذكره في الفصل السابق يستخدم البعض هذا الأمر للادعاء بأن عدد العلويين في سوريا أكثر بكثير من المعروف لأن العديد منهم لم يتجرأ على المجاهرة بأنهم علويون في الإحصاء الأخير الذي يشكل الأساس لكل التقديرات اللاحقة للتوازن الطائفي في سوريا.

وهكذا يبدو أن مظهر العلويين وسلوكهم الموجهين للخارج يعتمدان على: أين هم وكيف يشعرون بالتهديد، وهذا أمر مقارن مع ملاحظاتي في أجزاء مختلفة من الساحل السوري حيث يعيش العلويون. يمكن تصنيف الأماكن حسب درجات «علونتها» التي تعني كم هي أماكن مختلطة مع السنّة.

في حين أن الجبال الساحلية مبنية كمنطقة مركزية للعلويين ومرتبطة بالسردية التاريخية كمكان بحثوا فيه عن ملجأ لهم من الاضطهاد السنّي، فإن السهل الساحلي وخاصة مدينتي اللاذقية وطرطوس يوصف كمكان «وصول حديث» حيث أن العلويين يشكلون هنا عنصراً أقل، ولذلك تشكل جبالهم المكان الذي ينتمون إليه عضوياً.

بالطبع خلال سردياتهم التاريخية لهم ادعاءاتهم بمنطقة أكبر من المنطقة التي يعيشون فيها الآن لأنها المكان الذي اتجهوا له خلال المذابح. أحد المصادر من طرطوس أخبرني أن قريته تقع خارج طرطوس في الجبال ولكنه في الأصل من حلب ووصل أهله هنا نتيجة المجازر. هذا الخطاب الاستطرادي عن المكان مرتبط بالهيمنة السنّية وقوتها. يكون هذا الخطاب أقوى حين يكون ممثلاً بوجود السنّة.

يظهر العلويون فروقاً أقل من الفروق التي يصفونها حين لا يشعرون بهذا الأمر في حياتهم اليومية. ويمكن تصوير ذلك في الملاحظة التالية: خلال شهر رمضان حين يكون جميع المسلمين صائمين كما هو مفترض عن الطعام والشراب والتدخين خلال ساعات النهار، وحين يمتنع الكثير من المسلمين الذين يشربون الكحول بقية السنة عن شربه خلال هذا الشهر. تختبر اللاذقية وطرطوس هذا الأمر بشكل مختلف.

كما تم شرحه يؤوّل العديد من العلويين

جبال العلويين في الساحل السوري

القواعد الدينية وخاصة الأركان الخمسة للإسلام كرموز أكثر منها قواعد صارمة يجب اتباعها (على سبيل المثال: الصلاة في المساجد)، وحتى عندما يتبّعون تلك القواعد لا يهتمون باستخفاف الآخرين بهم. في الجبال وفي طرطوس حيث لا توجد سوى أقلية صغيرة من السنّة يأكل الناس ويشربون علناً وتبقى المطاعم مفتوحة خلال ساعات الصوم ويباع الكحول أيضاً ويستهلك علناً، بالرغم من أن بعض المطاعم الأكبر التي تخدم السياح السوريين تمتنع عن بيع الكحول خلال شهر رمضان. في اللاذقية من جهة أخرى وهي المدينة المنقسمة بين العلويين والسنّة (تدّعي المجموعتان أنهما الأكثرية على ما يبدو) يوجد استخفاف علني أقل بكثير تجاه الصيام. إيجاد مقهى مفتوح في مركز المدينة خلال النهار صعب والمطاعم لا تقدم الكحول مطلقاً.

يمكن تصنيف الأماكن بدرجات بشكل واضح بالمستوى المحلي أيضاً. لا تشعر الفتيات العلويات حسب مصادري بالراحة في الذهاب إلى حي الصليبة الجزء السنّي من اللاذقية ذي السمعة الشهيرة كحي محافظ. يمكن لمكان كموقف باص أن يأخذ صفة طائفية كما يظهر المثال التالي: ضمن مجموعة من الشباب من خلفيات مختلطة دينياً كانت فتاة تغادر لوحدها للذهاب إلى موقف باص للحاق بميكروباص من أجل الذهاب لقريتها خارج اللاذقية. أحد الشباب وهو زائر أتى من جزء آخر من سوريا كان قلقاً جداً من ذهابها لوحدها لأنها قد تتعرض للتحرش من قبل المتسكعين الهمج في أماكن مثل مواقف الباصات. الآخرون جميعهم بما فيهم الفتاة نفسها أجابوا بأنه لا حاجة للقلق لأن موقف الباص يخدم فقط القرى في تلك المنطقة وهي كلها قرى علوية. هذا الشرح كان كل ما يحتاجه الأمر لأنه لا يعني فقط أن الناس هناك علويون وإنما حقيقة أنها موجودة هناك تعني أنها علوية وبالتالي سيتم التعامل معها طبقاً لذلك.

أخيراً إذا تناولنا بناء المساجد في مناطق العلويين كرمز لقوة الهيمنة السنّية فإن هذا الأمر يعطي الانطباع عن كيفية عمل مقاومة العلويين. كما رأينا من قبل تدّعي مصادري أن العلويين ليس لديهم تقليد الصلاة في المساجد بسبب أنهم يصلّون في قلوبهم قبل كل شيء، ولأنهم فقدوا هذا التقليد ثانياً لأن المساجد هي الأمكنة التي جرت فيها المذابح ضدهم.

إذا كانت هذه هي حال العلويين في العموم فهذا يعني أنهم لا يحتاجون المساجد (لا تعتبر مقامات الأولياء مساجد). ولكن توجد مساجد في كل قرية علوية زرتها بالرغم من أنها أقل مما هو موجود في قرى وبلدات السنّة على ما يبدو.

يشير بناء المساجد في هذا المنظور إلى أنها بنيت من أجل المظاهر فقط وأنها بالتالي حصيلة مادية للهيمنة السنّية. سطحياً توجد مساجد للدلالة على أن العلويين مسلمون بالطريقة التي يتبّع فيها المسلمون قواعد الهوية كما يعرّفها المهيمن، في حين أن «النسخة المختبئة» تسمح بعدم استخدام هذه المساجد كما هو موصوف من قبل الهيمنة السنّية.

الخلاصة

تُرى الهوية حسب الإطار النظري في الفصل الثاني كأمر علائقي وبنيوي معاً حيث يكون ما هو داخلي بالنسبة لها مهم تماماً بنفس درجة أهمية كل شيء خارج هذه الهوية.

من غير المفاجئ أن يتم الشعور بالهوية المحدودة أكثر على ما يبدو في الأماكن التي يتعرض فيها العلويون إلى أحكام السنّة المدركة مثل البلدات والمدن المختلطة في الساحل.

يكون إدراك السنّة أكثر نمطية في المناطق العلوية الصرفة مثل الجبال، ولكن ينتاب المرء الشعور هنا بأن العلويين أوجدوا ترتيبات لهم في هذا المكان حيث يستطيعون العيش خارج هويتهم بحرية وحيث يطردون الهيمنة السنّية في سلوكهم في حياتهم اليومية.

ومع ذلك كله فإن الهوية العلوية غير ساكنة وتؤثر الأحداث المعاصرة في كيفية بنائها. هذا هو حال الدور الذي لعبه النظام وسياساته تجاه العلويين والسنّة، كما أن الحوادث في سوريا وفي المنطقة الأكبر حولها أيضاً تقوّي أو تضعف القضايا التي جرى استكشافها حتى الآن. هذا السياق السياسي هو موضوع الفصل القادم والأخير.

اللوحات الأخيرة للفنان السوري علاء الحسون وجوه لديها الوقت

■ خضر سلمان

بالنسبة لدراسة نقدية موضوعية، أهم ما في مشهد الانتقالة في أعمال التشكيلي علاء الحسون، أنها تكثف بدقة تحولا واقعيا مرتبطا بحياة الفنان نفسه. هي إذن عين الفنان التي تلتقط تفاصيل الأزمنة المتراكبة، داخل اللحظة السورية المتجاوزة تجاوزا قطعيا، كل الأنماط

الموضوعة من طرف النخبة لإدراك الموقف ومنح التسميات والتعريفات، لحظة تصخب حقا بأزمنة عدة، بموت كثير وحيوات كثيرة، ينم عنها هذا العواء البصري في اللوحات الأخيرة التي أتمها علاء الحسون، بعد قطيعة طويلة مع العمل بدأت قبيل عودته إلى مدينة حلب عام 2013.

هذا "العُواء" البصري تلمسه العين: جموحاً وتمزقاً إلى الخارج، تنشُج به أشكال مشوّهة التكوين، نحو الفضاء التجريدي المحيط بهذه الأشكال، المحاصِر لها أيضا، من جهة، ونحو خارج إطار اللوحة نفسه من جهة أخرى. هذه لوحات لم تكتمل، حيوات قوطعت بقذيفة أو برميل.

الشيء

مدارسياً: التجربة هي نفسها، لكن ما قد لا يلحظه توصيف من هذا النوع، أن انتماء لوحتين إلى مدرسة بعينها لا يعني أنهما شقيقتان، ولا أنهما مفارقتان، بل أنهما تتشاركان أسلوبا معينا في قول الشيء، لا أكثر، أما "الشيء" نفسه الذي أريد له أن يقال، فهو أمر آخر.

التجريدي التعبيري، الذي قد يكون الأنسب لتصنيف اللوحات الأولى للفنان علاء الحسون، والمعروضة تباعا في ملتقيات وورشات ومعارض فردية وجماعية خلال السنوات منذ 2006، هو تبويب أكاديمي مناسب أيضا، للرحلة الأخيرة المجازفة، في لوحات باذخة القياسات، حاولت فيها درجاتَ شاهقة من البياض والسواد، باستعمال مواد غير تقليدية سريعة الجفاف دخلت فيها الأكاسيد والأحبار والأكريليك والمائيات، مرنة ومجهزة لعصفٍ لا يحتمله الصفاء الرؤيوي الذي يحلو لحضور الزيت في اللوحة التصويرية التقليدية أن يستحضره، حاول التدرج تثبيتَ العجز البشري أمام الموت المفتوح، في ذروته، اصطياد الفنان من داخله الطافح بالعجز، سمكاً كثيراً، سمكاً بوجوه قاطعها القناص.

لم يغيِّر الفنان أدواته العميقة إذا صحت التسمية، لربما لم يفكر كثيرا في التفاصيل، وهو يدعو كل هذه الأحبار دامية السواد، إلى مأدبة تذكرِ المقتلة.

من قال إن كثيراً متدرجا من الأبيض والأسود، وعمىً شكلياً بينهما، من قال إن كل هذا لا يكفي ليثبِّتَ الحياة - الحياة بالنسبة للأحياء - عند العجز، كما ثبَتَتْ هي، بالنسبة لنفسها، على واقعة الموت ثباتاً مرعِباً، وتعطلتْ وهي الحياة، التي كانت دائما ما تجد منفذا إلينا، تعطلتْ إلى حين ينهي الخراب عمله؟ من قال إن الأبيض والأسود ألوان يقين؟

انظر في الوجوه، الوجوه..

"تكاتفنا لنعجَز"

لظروف عائلية قاهرة، انتقل علاء الحسون من القاهرة التي كان يتابع فيها دراسته التشكيلية، إلى مدينته حلب، المصنفة في أحدث القوائم الأممية كأخطر مدينة في العالم.

وأمام الحياة المدنية المتوقفة تماما نضجت التجربة التشكيلية الجديدة، وليس أمام بياض القماش، ليس أمام الأفكار والذكريات عن الكارثة، بل أمام العنف المنفلت نفسه، أمام المعنِّفين والمعنَّفين وبينهم، الحياة التي تضرب الجميع وتُدخل الجميع قسرا في اللعبة المؤذية، ضربات موجعة كثيرة بعصا حديدية على المؤخرات والأرواح الهزيلة، على الناس التي لم تكن أصلا وقبل أن يحدث كل هذا، أكثرَ من أرقام، الحياة التي نسيتهم دائما، وتذكرتْهُم على غفلة فقتلتهم.

المسافة الكارثية بين أوهام ما يقال على المنابر عن الحياة هناك في حلب، وما هو الأمر عليه حقاً: هذه الملائكة الشياطين، هؤلاء القتلة الطائفيون القدامى، والمؤمنون الحديثون، واللصوص المتطهرون، الزعماء الجدد والساسة وحملة المشاريع والطامحون إلى الأمجاد والطامحون إلى البقاء وغير الطامحين..

هناك بين غير الطامحين، بين الوجوه الموؤدة حيةً، ولدت الهَذيانات الأولى التي دوّنها علاء بيديه، بالأحبار والمواد الكثيفة الغريبة السخية المطواع. "تكاتفنا"، تقول أعضاء جسد اللوحة الواحدة، هذا الجسد المنتهَك الثكلان، هذه اللوحة المتمزِّقة.

زخرفة

ردا على سؤال عما يختبئ وراء هذه الوجوه الساهمة، اللاذعة الوقحة، الرديئة والمرتعشة رعباً إلى الأبد، قال علاء مرةً إنها وجوه لديها الوقت.

ووقتٌ كثيرٌ كثير، هو الشيء الوحيد الذي يربحه الموتى. ببساطة هذه اللوحات توثق وجوه الموتى التي ليس فيها ما هو قابل للتوثيق - بعد - غيرُ الموت نفسه. إنها تكرار الموت في وحدات زخرفية قوامها الوجوه، في فعل طقوسي أو يكاد يكون، وكما يخلق التكرار اللانهائي للوحدات الهندسية البسيطة على جدران دور العبادة، إيحاءً بقداسةٍ حاضرة، هنا، هذه الوجوه المطموسة كلها، تتكرر إلى لانهاية في زخرفةٍ حرّيفة، لتقول كم لم نفهم.

ليس انصياعا ولا اعترافا ولا رفضا، إذن، بل تكرار مفردة الموت البصرية، وهي هنا وجوه الموتى وأطرافهم المبتورة، لأجل تكرارها، مثلما هو الموت لأجل الموت. لنقل إنها لوحات على مستوى الجريمة.

الجيـاع

■ زكريا تامر

قـال طفل لأمه إنه جائـع، فقالت له إنها جائعة مثله، وسـتغادر البيت، وتطوف على بيوت الجيـران لعلهـا تعثر في أحدها على ما يصلـح لأن يؤكل، وأوصته بالاهتمـام بأخته الرضيعة النائمة.

وعندما عادت الأم إلى البيت بعد سـاعات فارغة اليدين وجدت طفلها نائماً، ولكنها لم تجد أخته الرضيعة، ففقدت صوابها، وأيقظت طفلها من نومه، وسألته: أين أختك؟

فأجاب وهو يتثاءب: لعلها خرجت من البيت لتتمشى في الشارع.

فلطمته بقسوة قائلة له: الرضيعة لا تمشي. احك ما جرى.

فقال لها الطفل: ربما دخل لص البيت في أثناء نومي وسرقها.

فلطمته الأم بقسوة أكثر جعلت الدم ينزف من فمه، وقالت له: تكلم وقل ماذا فعلت بأختك.

فقال الطفل وهو يمسح الدم عن شفتيه: بعتها.

فصاحت الأم كالمجنونة: لعنة اللّه عليك. ولمن بعتها؟

فأجاب الطفل: لهذا العجوز الذي يتجول في الشارع منادياً ويشتري الأغراض العتيقة.

قالت الأم متسائلة: وبكم بعتها؟

قـال الطفل: أعطاني العجوز نصف رغيف وقطعة صغيرة من الجبن المالح، وأكلتهما فوراً ونمت.

وترامى إلى مسامع الأم في تلك اللحظة نداء العجوز المعلن عن استعداده لشراء الأغراض العتيقة، فابتهجت الأم، وقالت لابنها: سأبيعك له وأسترد أختك المسكينة.

فقال لها الطفل بتحد: سـنرى من منا سينجح في بيع الآخر. ماذا يفعل العجوز بولد صغير وسخ؟ أما أنت، ففرصة العمر للعجوز خاصة وأنك صبية وبيضاء وجميلة.

وتركـت الأم نـداء العجـوز ينأى من دون أن تتحـرك وتنفذ ما هددت به، وقـال لها طفلها: المشكلة هي أني مضطر إلى بيعك بسعر مخفض لأن العجوز يعرف أنك ترغبين في العيش مع ابنتك، وسيستغل هذه المعرفة أبشع استغلال في المساومة على السعر.

وهـرع الطفـل إلى باب البيت وهو يشـعر أن معدته قد هضمت ما أكلـه، وعاد إليه جوعه شرساً.

مخيم كفر زبد في لبنان للاجئين السوريين 2014

محمد الفراتي 1890 - 1978

■ ياسر مرزوق

ولد محمد بن عطا بن محمود عبود «الملقب بالفراتي لاحقاً» عام 1890 في مدينة دير الزور وتذكر بعض المراجع أن ولادته كانت عام 1880، لأسرة فقيرة الحال، كان أبوه يقوم بأعمال البناء ونحت الحجارة في ناحية الميادين، وقد عاش الشاعر يتيم الأم منذ عامه الثالث، تلقى العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية باللغة التركية في المدرسة الابتدائية والرشدية في دير الزور، ثم التحق بحلقة الشيخ «الحمودي» تابع خلالها علوم الدين واللغة العربية مدة عام واحد لينتظم بعدها ثلاثة أعوام في حلقة الشيخ «حسين الأزهري» درس خلالها مبادئ اللغة والفقه والمنطق..

إلا أن خلافاً نشب بين الشيخ الأزهري والفراتي الذي قال عن هذا الخلاف: «إنهم كانوا يدرسون «الشمسية في المنطق» ليقدموا فيها امتحاناً في حلب.. لكون ذلك يؤجل من الخدمة العسكرية العثمانية وكان الأزهري يقتصر في تدريسه على الحواشي والشروح. دون الدخول في صلب موضوعات الكتاب» والفراتي يلح على شيخه لولوج مسائل الكتاب، ولا يجد آذناً صاغية بل أجابه الشيخ مرة بقوله: «من تمنطق تزندق» فرد الفراتي عليه رداً قاسياً يقول: «إما أنك تعلم أنت المنطق أو تجهله، فإن كنت تجهله فأنت معذور، وإن كنت تعلمه فالمثل ربما ينطبق عليك قبل أن ينطبق عليّ».

ترك الفراتي حلقة الأزهري وانتقل إلى حلب حيث انتسب إلى مدرسة «العريان» وتتلمذ على يد مجموعة من العلماء كان منهم الشيخ الزعيم وهو «رضا بن محمد يوسف الزعيم» كما درس اللغة والأدب وعلوم الدين على يد « كامل الغزي « صاحب كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب» وبشير الغزي الذي كان مدرساً في مساجد المدينة ودرس الفقه على يد العلامة «محمد الزرقا» فقيه الحنفية في حلب.. كانت مدة دراسته في حلب ثلاث سنوات من عام 1908 حتى العام 1911.

رحل بعدها إلى مصر عام 1911 ليكمل تعليمه في الأزهر الشريف، حيث أقام في رواق « الشوام «في عهد الشيخ سليم البشري وتتلمذ على يد علماء عصره مثل» الشيخ المرصفي والشيخ القاياتي والشيخ بخيت « وكان من زملائه في الأزهر « الأديب طه حسين، عبد القادر المازني، زكريا مبارك أحمد شاكر الكرمي «، كما تعرف على الشاعر حافظ ابراهيم وشاعر القطرين خليل مطران والشاعر العراقي المهاجر عبد المحسن الكاظمي.

وتزامن وجود الفراتي في مصر مع اندلاع الحرب العالمية الأولى مما أدى إلى قطع المعونات التي كانت ترد من الأهل في سوريا، واشتد الضيق على الطلبة السوريين في الأزهر، فتداعى أثرياء مصر لكفالتهم وإعانتهم على الدراسة، ولجمع الدعم للسوريين أقيم حفل حاشد في دار الأوبرا المصرية يعود ريعه للطلبة السوريين وكان الحفل تحت رعاية الخديوي « حسين كامل « وفي هذا الحفل ألقى الفراتي قصيدةً تعبر عن حاله وحال أقرانه مطلعها:

حليف سهاد نازح الدار معدم

ومالي سوى حسن اصطباري مغنم

أبيت ومن دمعي بحار زواخر

وفي باطني جمر الغضا يتضرم

مع اندلاع الثورة العربية الكبرى سافر إلى الحجاز للانضمام للجيش العربي، وعين برتبة ملازم طابور، ومع دخول الأمير فيصل سوريا عام 1918، عاد الفراتي إلى مصر ليشارك في ثورة سعد زغلول ضد الاحتلال الانكليزي قولاً وعملاً معلناً أن الشعب العربي وثورته واحدة، ومع فشل الثورة وإلقاء القبض على سعد زغلول وإسماعيل صدقي وحمد الباسل وبعض رموزها، عاد الفراتي إلى مدينته المحتلة من قبل الانكليز بحسب سايكس بيكو.

إثر عودته من مصر عمل مدرساً للتربية الإسلامية وللغة العربية وفي أواخر عام 1919 م تزوج من طالبته عائشة العبد الله وهي تصغره بكثير وقد عاش الفراتي حياته كلها إلى جانب زوجته وأنجبت له خمسة اولاد ذكور وابنتين.

تصدى الفراتي للإرادة السنية الصادرة عن الملك فيصل بتسليم دير الزور إلى الإنكليز مدعياً أنها واقعة تحت الانتداب البريطاني وأنها جزء من العراق بدلاً من الموصل التي ألحق إدارياً وسياسياً إلى سورية، فنظم قصيدة تعلن العصيان على فيصل وتحث الثوار إلى عدم تسليم المدينة للإنكليز مطلعها:

انهض وروّ العوالي من عداك دماً

واستنهض السيف والقرطاس والقلما

ومع دخول الفرنسيين سوريا بدأت أشعاره تلهب الحماس لدى الوطنيين في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وفي عام 1925 نفاه الفرنسيون إلى بغداد حيث عين مدرساً في دار العلوم، وهناك تعرف على ساطع الحصري الذي اختاره للتدريس في البحرين عام 1927 وبقي هناك حتى عام 1930.

عاد بعدها إلى مدينته معلماً في المدرسة الابتدائية، وفي عام 1949 عين مشرفاً على المكتبة الوطنية في دير الزور التي أحدثها الشيخ « محمد سعيد العرفي «، وفي عام 1959 انتقل إلى دمشق حيث عينته وزارة الثقافة مترجماً من الفارسية للعربية، وفي هذه الفترة مارس نشاطاً أدبياً ملحوظاً، فأخذ ينشر مقالاته في الصحف السورية والعراقية والمصرية، كما ألقى عدداً من المحاضرات، وفي العام نفسه دعاه وزير التربية « الدكتور أمجد الطرابلسي « مع نفر من شعراء القطر « كشفيق جبري، وأنور العطار وغيرهما ليمثل القطر في مهرجان « الشاعر خليل مطران « الذي أقيم في القاهرة.

كما كان ضمن الكادر التأسيسي الأول لوزارة الثقافة والإرشاد القومي كما كانت تسمى في ذلك الوقت، حيث عمل فيها قرابة عقد ونصف من الزمن بين عامي 1959 - 1973، أمضى معظمها في الترجمة عن الفارسية وفي عام 1973 أنهت وزارة الثقافة تعاقدها معه بعد أن تجاوز الثمانين من العمر، ليعود إلى مسقط رأسه حتى توفاه الله عام 1978.

كان الفراتي يتقن الفارسية اتقاناً كاملاً، وبالفارسية وضع عدداً من الكتب منها ثلاثة كتب عن تعليم الفارسية، كما وضع معجماً بالفارسية والعربية، ومعجماً فارسياً، كما ترجم أشعار حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي وجلال الدين الرومي.

رحل الفراتي تاركاً وراءه العديد من الدواوين الشعرية « العواصف، صدى الفرات، النفحات، الهواجس، إضافةً إلى مجموعتين من القصص الشعرية بعنوان سبحات الخيال، والساحة «.

وقد بدا تأثر الفراتي واضحاً بالأدب الفارسي من خلال النكهة الصوفية البارزة في شعره:

أنا عبد الله لا عبد مليكٍ أو أمير

أنا عبد الله، والله من الناس مجيري

أنا عبد الله، لا عبد لهذي الشهوات

قد شهدت الله فرداً، فانطوى الكون بذاتي

كان الفراتي بعيداً عن رجال السياسة، يأبى مديحهم مقابل منفعة أو هبة معينة حتى أنه قال عن أحمد شوقي بأنه شاعر الأمراء وليس أمير الشعراء، ولعل السياسي الوحيد الذي مدحه الفراتي كان الرئيس القوتلي في قصيدةٍ مطلعها

مدحتك لا أرجوك جاهاً ومنصباً

ولي فوق هام النجم جاه ومنصب

قال عنه الشاعر «نزار بني المرجة»: « مكانة الفراتي في الشعر السوري خصوصاً والعربي عموماً، لا يمكن أن يختلف عليها النقاد المنصفون، فهو أحد ستة شعراء ولدوا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكانوا المؤسسين الحقيقيين للحركة الشعرية في سورية وهم: «محمد الفراتي، «محمد البزم، خير الدين الزركلي، خليل مردم بيك، علي الناصر وشفيق جبري».

وتخليداً لذكراه نصب له تمثال ضخم أمام المركز الثقافي في دير الزور قام بنحته د. فواز بكدش عميد كلية الفنون الجميلة وفي عام 2013 وبعد أبي العلاء المعري في معرة النعمان وطه حسين في المنيا بمصر، وصل مسلسل تكسير النصب إلى دير الزور في سوريا حيث قام مجهولون بتفجير النصب التذكاري للشاعر الشيخ محمد الفراتي.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والقضايا الوطنية والقومية

■إعداد المحامي فارس حسّان

عرف الفكر السياسي العربي قلة اهتمام ملحوظة بالاقتصاد والتعليم والصحة والتنوير بشكل عام، وعدم اكتراث واضح بمعاني المواطنة والديمقراطية ودولة المؤسسات ودائماً ما انجذبت النخب الحاكمة إلى ما سماه ماوتسي تونغ «التناقض الرئيسي» حيث أن الأمور المتعلقة بالقيم والحريات لا يحين وقتها أبداً، فيما يعطى الجهد كله لمحاربة العدو، وقد صار هذا الفكر منهجاً لتجنب المساءلة عن عدم القيام بأي شيء، فالمهم مقاومة المستعمر والتخلص منه، ومقاومة الصهيونية لاحقاً ومقاومة مؤخراً الإرهاب، والله يتكفل بالباقي، وغني عن القول أن هذه النزعة الخارجية الطاغية هي ما عزز في وقتٍ مبكر نزعة التخلص من السياسة بوصف السياسة تسييراً للاقتصاد والتعليم والتنمية، وقبل ذلك كله الحرية وانتصر دائماً ما هو عابر للحدود على ما هو داخلها، ولم يحصل بالتالي أي تطوير لمسألة الشرعية وتداول السلطة وقلصت الدولة إلى مجرد سلطة لا مكان فيها للأحزاب والصحافة الحرة.

ومع غياب أي تطوير لمفهوم الشرعية ورفع شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» يطرح المواطن العربي والسوري خاصةً سؤالاً مفاده: هل تحتاج التعبئة الوطنية ضد اسرائيل، في حدود المواجهة التقليدية المستمرة منذ عقود دون تغيير، إلى التضحية بالحريات والحقوق ولا تستقيم دون ذلك، هل يخدم الانتقاص من هذه الحقوق والحريات هدف مواجهة اسرائيل بالفعل وكيف؟ يمكن أن نقول أن نظم الحقوق المطلقة تقود إلى بناء دولة قوية، وتسمح بالاحتفاظ بصورة أكبر بسرية المعلومات العسكرية. لكن كيف نضمن أن لا تكون قوة هذه الدولة موجهة ضد شعبها خاصةً عندما تختلط السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية والعسكرية اختلاطاً تاماً بالسلطة، وينخرط الجيش نفسه في الصراعات السياسية الاجتماعية باسم العقائدية، وهذا هو ما حصل بالضبط وجعل الرأي العام يشك في الطروحات الرسمية المتعلقة بهذا الموضوع.

من الطبيعي أن يجد الرأي العام في الاستخدام الشعاراتي المكرر للمسألة الوطنية وسيلة لإدارة الأزمة السياسية والاجتماعية الداخلية بطرق استثنائية وغير قانونية، ومثل هذا الاستخدام للمسألة الوطنية هو سمة من سمات جميع الحكومات التي لا تتجرأ على مواجهة أزماتها الداخلية بجدية، وتسعى إلى حرف الانتباه عنها ومنع الرأي العام من توجيه أي نقد لها ولأسلوب إدارتها، وما يقال عن المسألة الوطنية واستخدامها من قبل الأنظمة الضعيفة، للتغطية على التمسك بالمصالح الخاصة الفئوية بالرغم من الأخطار الخارجية والمخاطر الداخلية بالانقسام وتشتت الرأي العام، يقال عن المسألة القومية.

لا شك من وجود مراحل تاريخية تكون فيها صراعاتنا الداخلية غير مبررة مقابل صراعاتنا الخارجية ضد الصهيونية والعدو الخارجي، ويكون فيه من الضروري أن يقبل الأفراد بتضحيات استثنائية في سبيل وقف العدوان الخارجي قبل العودة إلى حسم الخلافات الداخلية بما في ذلك الخلافات على أسلوب ممارسة السلطة أو في توزيع الثروة الوطنية، إلا أنه كي يكون بإمكان سلطة حاكمة أن تقنع الرأي العام بذلك، وأن تدفعه بالفعل لبذل جهد استثنائي لتجاوز نزاعاته والقبول بتضحيات استثنائية في سبيل المعركة الوطنية، لا بد لها من تحقيق بعض الشروط الأساسية وإلا فلن تكون هناك تعبئة وطنية حقيقية وإنما استقالة جماعية تغطي نفسها بشعارات جوفاء تظهر فراغها في أي امتحان جدي.

أول هذه الشروط أن يكون هناك مواطنة بالمعنى الفعلي، أي أن يشعر الفرد أن البلد الذي يعيش فيه يضمن له الحقوق والحريات التي تجعل منه مواطناً حراً ومشاركاً في مصير بلده وليس لاجئاً فيه أو تابعاً لغيره أو عبداً له، والثاني أن يكون هناك شعور حقيقي عند أفراد الشعب بأن النخبة الحاكمة تؤمن بمفهوم المصلحة الوطنية، وتعمل حسب هذا المفهوم وتقبل بأن تضحي بجزء من امتيازاتها المادية والسياسية والمعنوية، وحتى مصالحها الخاصة في سبيل المصلحة العامة والثالث هو أن يكون هناك حد أدنى من العدالة في اقتسام التضحيات والجهود المبذولة بين جميع طبقات الشعب وأبنائه، بحيث ينتفي شعور أن المصلحة العامة قانون يطبق على الفقراء ومعدومي السلطة ولا ينطبق على الطبقات الغنية الجامعة بيد واحدة للثروة والنفوذ، والشرط الرابع هو أن يشعر الرأي العام أن هناك إنجازات فعلية على طريق حل المسألة الوطنية، تبين أن أتعابه وتضحياته لا تضيع سدى، ولا تذهب لخدمة أغراض بعيدة كل البعد عن المصلحة الوطنية والشرط الخامس حتى تنجح القيادة السياسية في التعبئة الوطنية والقومية هو أن تكون التضحيات المطلوبة منطقية من منظور تحقيق الأهداف المضحى من أجلها، فمن المنطقي مثلاً أن يشد الشعب الحزام في حالات العدوان أو التهديد الخارجي حتى يمكن توفير المال الضروري لشراء الأسلحة، لكن ليس من المنطقي ربط التعبئة الوطنية والكفاح ضد العدو بحرمان الشعب من حقوقه وحرياته الأساسية واتهام المعارضة أياً كان شكلها بالعمالة والارتهان للخارج.

فبانعدام مفهوم المواطنة وسواد مفهوم الإخضاع بالقوة والإذعان للأمر الواقع السياسي لا يعود هناك أي شعور بالوطنية ويبدو كل جهد مبذول للدفاع عن البلاد هو جهد للدفاع عن الظلم والتمييز القائم، مما يدفع إلى الاستقالة الوطنية والانسحاب من أي معركة محتملة مادية أو معنوية، وعندما تبالغ النخبة الحاكمة في مثل هذه الظروف في الحديث عن الوطنية واستخدام الشعارات الوطنية فسوف تفقد القضية الوطنية نفسها كل صدقية، لأن الرأي العام سيجد فيها وسيلة أو ذريعة تستخدمها النخبة الحاكمة في سبيل ردع الشعب وابتزازه بهدف الحفاظ على المصالح الخاصة والانتهازية وربما تعظيمها.

حتى يقبل الرأي العام التضحية بجزء من الحرية والعدالة والمساواة في الانسانية وفي الكرامة البشرية ينبغي أن يتكون لديه اقتناع أن هذه التضحية ضرورية لتحقيق الهدف وأن الهدف يستحقها، وأن تظهر له القيادة أيضاً بالملموس أن هناك نتائج فعلية تقربه من هذا الهدف، وأن الأحكام العرفية والقوانين الاستثنائية ليست أدوات للحكم والحفاظ على المغانم الاقتصادية.

ظبية الخميس: منفى جامعة الدول العربية

■ ياسر مرزوق

«إنها منفى، ولم تكن مرة أكثر من ذلك، جامعة الدول العربية منفى لقضايا العرب، والقضية الفلسطينية بالتحديد منفى لقضايا الشعوب العربية، ومجمع غير كهنوتي للتواطؤ على اللاعمل، مقر للا جدوى، ومبنى تسترخي فيه الأوراق والمذكرات والبيانات، إلى ما شاء الله. حين دخلته، أو أرسلت إليه لا فرق، للمرة الأولى في مصر عام 1992 كنت أعلم إلى حدٍ ما أنه معطل على نحو ما غير أن ما اكتشفته عبر السنين حتى عام 2010 كان يفوق الخيال، كانت تجربة تشبه نوعاً من الاعتقال والقبول بالحياة في ثلاجة تعرف جيداً أنك لحمها الانساني المجمد وكم سأحتاج إلى أوراقي ووثائقي ومذكراتي لأسرد جزءاً بسيطاً من التجربة».

بهذه العبارات القاسية تروي لنا ظبية الخميس تفاصيل التجربة التي خاضتها داخل أروقة جامعة الدول العربية منذ عام 1992، حيث عملت سفيرة ومن ثم مديرة لإدارة شؤون البعثات بدرجة وزير مفوّض، الجامعة العربية التي يعيش القائمون عليها أوهاماً شاعت لعقود مفادها أن وجود هذه الهيئة واجتماعها هو مطلبٌ لشعوب الأمة اشتد إلحاحه وزاد، وذلك وهمٌ لا تبرره الحقيقة، وفوق ذلك لا يسمح به واقع الحال.

جامعة الدول العربية التي وقفت شاهد زور على تفتيت السودان وليبيا وربما سوريا كانت المنفى الذي أبعدت إليه الخميس من وطنها دولة الإمارات العربية المتحدة، بعد مقال لها نشرته في مجلة المجلة اللندنية تحت عنوان «مقبرة النخيل» وهو عبارة عن تأملات لامرأة شرقية، أزعجت السلطات في بلدها فأودى بها إلى المنفى ثم إلى العمل في جامعة الدول العربية حيث بقيت لمدة ثماني عشرة سنة متواصلة.. وكانت منفاها الثاني. بعد ذلك أودى بها عرض لكتاب كوكب الريس التي فتحت جرح الجامعة العربية إلى لجان المساءلة والعقوبات والإهانة ومحاولات الاعتداء ثم الفصل التعسفي، في عهد عمرو موسى، بعد ربع قرن من المقال الأول.

كان للخميس أن تبدي رأيها في جامعة الدول العربية خلال زيارتها الأولى في سبعينيات القرن الماضي «سبق أن دخلت جامعة دول عربية أخرى، في تونس، في أواخر السبعينات حين كنت طالبة للعلوم السياسية في جامعة إنديانا، في الولايات المتحدة الأمريكية، كان لدي مشروع بحث علمي حول تأثير انتقال جامعة الدول العربية من مقرها في القاهرة إثر اتفاقية كامب ديفيد إلى العاصمة التونسية كمقر جديد لها، قضيت قرابة الشهر في تونس والتقيت بعدد كبير من المسؤولين، وانتهيت في بحثي ذلك إلى ضرورة تحويل الجامعة إلى منظمة تكنوقراطية تعنى بالجوانب الثقافية والاقتصادية والمجتمعية لأن ذلك كان سيكون أكثر جدوى للشعوب العربية من الجانب السياسي الذي كان معطلاً لأسباب كثيرة في ذلك الوقت».

في ضوء نظرتها لما يمكن للجامعة أن تقوم به، دعت إلى إحياء النشاط الثقافي بالجامعة، والذي توقف منذ أيام طه حسين، وفعلاً بدأت في صيف 2002م إعادة تأسيس الإدارة الثقافية، التي وجهت بحروب ضيقة من عمرو موسى ومحازبيه، تقول الخميس: «بعد أحداث سبتمبر وتنامي الدور المنشود للدبلوماسية الثقافية العربية في ظل ما يؤجج من أفكار مستقاة من نظرية صراع الحضارات، ومن ذلك الاهتمام من الأمين العام تنامى افتعال مشاكل مع الإدارة الثقافية والاستيلاء على بعض مهامها من العاملين في مكتب الأمين العام وبعض مستشاريه، وكان علي أن أخوض الكثير من الحروب الصغيرة المحبطة والمربكة للعمل..».

انتقدت خميس في الكتاب الطريقة، التي يدير بها عمرو موسي الجامعة على المستوى الإداري، واهتمامه بالموظفين المصريين وإعطاءهم كافة الصلاحيات، والتي قد لا تتناسب أحيانا مع قدراتهم الوظيفية، بينما يتجاهل باقي العاملين من الجنسيات الأخرى، وإهدار حقهم الوظيفي، بل ووصفهم على الملأ، ومن خلال تصريحات منشورة، ومذاعة بأنهم تنابلة السلطان، كما انتقدت ظاهرة التمصير الشديد داخل الجامعة بالقول: «بتنا نشعر بأننا موظفون نعمل في داخل أروقة وزارة الخارجية المصرية.. وصار للسعاة والفرّاشين سطوة وبعضهم كان يتجسس علينا علناً يومياً».

يحتوي الكتاب على ثمانية عشر فصلاً منها: من الغرب إلى الشرق، البيروقراطية المتوحشة، إعادة هيكلة أم هدم الهياكل، «كتاب ومقال ومدونة، وانتقام رجال عمرو موسى»، «تحرشات، تحقيق، مساءلة، وعقوبات»، «المحامي، والجامعة، والسفارة».

تكتب الخميس عن السياسة والاجتماع والثقافة، كونها كانت تعمل في جامعة الدول العربية، التي تُعدّ مؤسسة سياسية، بالتزامن مع عملها الإبداعي. مما أضفى على الكتاب نكهةً وطابعاً أدبياً:

«للمنافي ميزة إذا أدرك المرء أنها كذلك ولم يسمح لنفسه أن يصدق أنها وطن، المنفى يجعلك محايداً نوعاً ما، وتعرق أنك بلا حقوق حقيقية كتلك التي تخص المواطنين في أي وطن، المنفى منطقة رمادية يسمح لك بالتواجد فيها على أن تدخل إلى الحلكة أو لا تلج نور النهار، وقد تتوهم بطول البقاء في المنفى أنك صرت في وطن ما، غير أن أول حركة تبديها باتجاه حقوق المواطنة تلك سوف يرافقها هراوة تهوي على رأسك، غليظة قاسية لتنبهك إلى انتهاكات شروط المكان، ربما تطور الأمر إلى نفيك في المنفى».

«كثيراً ما أردت الفرار من كتابة هذا الكتاب، لأن ذكرياته قد تثير سقمي وغضبي وتخرج إلى الضوء فواتير كثيرة مؤجلة لا بد من تقديمها ذات يوم إلى سلطات أخلت باستخدام سلطاتها وأفضت إلى أحوال جعلت من المستحيل التعايش معها برضى أو نسيان، ثم إنني سأتذكر شخوصاً ولحظات ومواقف وآلاماً تمنيت نسيانها جميعاً وتخطيها لأعبرها في حياتي من مرحلة إلى مرحلة دون السقوط في فخ الخيبة واليأس والرغبة في الانتقام».

قصة قصيرة

العادة الصباحية

مضر عدس

استيقظ باكراً على غير العادة، قبل أي شيء وقبل أن يحتسي فنجان القهوة، عليه أن يزور صفحته في الفيس بوك.

أمسك هاتفه الذكي، فتح التطبيق الخاص، وبدأ يقرأ المواضيع.

«قلب أحمر»

«من السويد هنا مخيم اليرموك»

«حياتي عذاب من دونكم يا أصدقائي.. ومُرفق مع التعليق مجموعة من الصور»

«صباحكم عسل مع فنجان قهوتي الصباحي»

«صور لمجزرة ما»

«مقال طويل جداً عن مخاطر تمدد داعش»

قرأ ربع المقال، وما لبث أن أحس بضجر كبير من تكرار، داعش والضربة الأمريكية وحلف وتحالف وهجوم مرتقب.

توقف عن القراءة وقرر أن يزور قائمة الأصدقاء المتعلقة بالمحادثات الخاصة، ليطمئن كعادته على صديق ما.

«محمد.. كلمته البارحة»

«مروان أخوه شهيد ولا طاقة لي بأيّ حديث حزين عند الصباح»

«خالد.. حديث الحصار الطويل.. لا كهرباء ولا طعام ولا ماء.. ليتني أستطيع المساعدة.. لن أحادثك»

«عارف.. يا إلهي مللت أحاديث اللجوء وكيف تحولت حياته إلى جنة بعد دخوله هولندا»

«فرح.. فرح يا لسعادتي عام ونص لم أكلمها.. هي إذاً»

- مرحباً..

- أهلاً حازم.. أهلاً..

- فرح.. ما الأخبار؟

- الحمد لله.. وأنت؟

- أنا بخير.. فرح كم أنا سعيد.. أين اختفيتِ؟ ظننتك أقفلتِ حسابك إلى الأبد..

- لا يا صديقي.. ولكنه مُمل.. لا أحب الدخول إلى الفيس بوك؛ فقد كرهت الأخبار والصور والدمار.

- لا بأس عليك يا فرح لا بأس.. ما أخبار زوجك وابنتك؟

- زوجي وابنتي.. توفيا العام الماضي إثر قذيفة سقطت في دمشق.. أحمد الله على كل شيء.

- ما.. ماذا تقولين!!.. أنا.. لم..

سقط الهاتف من يده، ولم يستطع أن يكمل عبارات العزاء؛ فقد غدت كقشرة بصل، حاول أن يلتقطه ليكمل الحديث، لكن عينيه امتلأتا ببحر من ملح الموت؛ فما استطاع أن يصل إليه أو أن يشرب فنجان القهوة.

إني بذرة بين يديك. فإن أنت مددتني بماء وبضياء دافئ، كنت لك وللعالم أجمع ثماراً هي من أطيب أطايب الدنيا.
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

بدنا نكمل باللي بقيوا

■ منال ريّس

سراقب 2013 | عدسة شاب من سراقب

في مشهد من أحد أكثر المشاهد تأثيراً، في واحدة من أكثر الروايات عمقاً على مدى التاريخ، يقوم الكاهن - في رواية البؤساء، رغم صغر مساحة دوره في الرواية، بلعب الدور المفصلي والذي يغير مسار اتجاه بطل الرواية جان فالجان كلياً، حين يكون رجل الدين هذا هو الوحيد الذي يرد على جرم اقترفه جان بحقه ليس فقط بالمسامحة، وليسَ فقط بإنقاذه من قدر كان سيكون مأساوياً فيما لو أثبت أمام عنصر الأمن جريمة سرقة جان للشمعدان الفضي من الكنيسة التي آوته من جوع وبرد، بل أيضاً - وفي موقف يقشعر لنبله الوجدان الإنساني، يحسن إليه بأن يمنحه ذاك الشمعدان الفضي الثمين ليبدأ حياة جديدة. يجد فالجان نفسه أمام إحسان يأتيه كنسمات عُلوية، يعصف بروحه ويهزها بشدة حتى تتساقط عنها قطرة قطرة كل الأحقاد التي تراكمت فيها على مدى عشرين سنة قاسى فيها ظلماً أرداه في ظلمات سجن عومل فيه معاملة العبيد. وحتى بعد أن خرج منه ببصيص أمل صعقته قسوة البشر الذين رفضوا أن يعطوه فرصة لكسب ما يقيته. وبعد موقف الكاهن معه ووصيته له أن يستخدم قيمة الشمعدان بأن يكون إنساناً نزيهاً، يقرر جان أن يكون يد الخير والأمل في الوجود وآن ينتشل الأرواح البائسة من يأسها كما انتشله الكاهن - بنية أنه صوت إرادة الخير والمحبة المطلقة في الوجود، وتكون هذه الحادثة المنطلق الذي على أساسه سينقذ الطفلة كوزيت يتيمة الأبوين من قدرها الشقي ويكون الحارس الملاك الأمين لها طول حياته مغامراً بذلك بالمركز النبيل الذي وصل إليه.

ومع تجسد فصول شبيهة إلا أنها حية وأكثر عمقاً من حياة مزيد من البؤساء كل يوم وكل لحظة تجرعوا من مختلف أشكال كؤوس العذاب والشقاء في واحدة من أشد المآسي البشرية التي تحصل اليوم على الأرض السورية، ومع تكالب كل الظروف وضدهم وانسداد كثير من الأفق وانهيار كثير من الآمال، وتنامي مشاعر السلبية ضد كل من خذلهم من أفراد وحكومات وهيئات، إلا أن الروح النبيلة تعود لتتجسد في شخصيات ومبادرات توقد روح الأمل من جديد لتمسح وجع العذابات، وقد تقدر أن تغير بشكل جذري مساراً كان قد يتجه مدفوعاً بروح ناقمة على البشرية جمعاء، فتحوله بإحسانها لمسار المحبة والإيمان بالخير مجدداً.

ورغم قلة عدد مثل هذه المبادرات في وسط الظلام الذي بدأ ينتشر ويتمدد، إلاّ أن النور المنبثق عن مبادرة واحدة قادر أن يضيء مئات القلوب لأن زيت المحبة والإحسان معدي وقادر أن يتسرب من سراج لسراج بكل سلاسة.

ما زلنا نلمح وسط الدخان الأسود بالونات ملونة لإحياء «بسمة أمل» على وجوه الأطفال.. وما زلنا نشهد تجمعات لـ«فك كربة الغربة»، وما زال هناك من يقيم مركزاً ثقافياً تتشابك فيه الأيادي والجهود «معاً» تحت القصف لتقرأ وتتثقف، وما زال هناك من يطير «طيارات ورق» على أمل أن يلون بها سماء الأطفال التي أحالتها شرور الكبار سواداً مدقعاً، وما زال هناك من يتحمل المخاطر ليوصل علبة حليب «من أجل سوريا» وأطفال سوريا أو ليصور فيلماً يعرض فيه ما يجري عن العالم المُغيب. ما زال هناك من ينظم معارض الفنون والمسرحيات في مخيمات الأطفال ليخرجهم من قساوة واقعهم إلى عالم جميل ولو بالخيال عن طريق الفن. ما زال هناك من يدق على صدره إذا ما سمع بحاجة أخيه ويقول «دوبارتك عندي»، و«خسى الجوع».

وما زلنا نسمع قصصاً مثل قصة الشاب الذي تحطم القارب الخشبي، الذي كان يستقله ليصل لشواطئ أوروبا، تحطم في عرض البحر ووجد نفسه متمسكاً بخشبة من بقايا القارب وبجانبه طفلة عمرها سنة ونصف تكاد أن تغرق كما غرق أبواها فشدها لخشبته وظل حارساً لها ساعات طويلة يطفو قليلاً ويغوص قليلاً ليدع لها مساحة لنجو وتغفو، هكذا إلى أن وصلت المساعدة. وفي مركز الهجرة قرر ألا يدع الطفلة لقدر مجهول فادعى أنه والدها وضمها ومضى ليبدأ معها بداية حياة جديدة يكون لها فيها الحارس المنقذ (قام بتسمية الطفلة «حياة»).

وطالما أن هذه الأرض الطيبة ما زالت تنبت مثل هذه المعادن الأصيلة فالأمل باقٍ والخير لن يخبو، والنفوس عندما «ستلفحها ريحُ الشمس، سترجع الأيادي لتبني وتعمر، وسيمزق صوت العيد سماء كل من أراد أن يردنا إلى اليأس، وسيكمل من بقي منا رغم الطوفان الذي غمر بلادنا»، طالما أن هناك من «نذر يكون حبر رسالته وأمانته أن يكون قنديلاً للتعبانين».

(اقتباسات الفقرة الأخيرة من أغنية فيروز «ح نكمل باللي بقيوا»).

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (103654)

دمشق: 6947
ريف دمشق: 23699
حمص: 13616
درعا: 9444
إدلب: 11321
حلب: 20572
دير الزور: 6184
الرقة: 1228
السويداء: 81
حماة: 6987
اللاذقية: 993
طرطوس: 363
الحسكة: 724
القنيطرة: 779

8365 عدد الأطفال الذكور
3842 عدد الأطفال الإناث
7607 عدد الإناث
28993 عدد العسكريين
74661 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 6 / 9 / 2014
http://www.vdc-sy.info/